ليالي حلب

الأجزاء من ١ – ٤٨

(أجزاء السلسلة لم تنته بعد وهذه نسخة غير نهائية)

بقلم

أبي شعيب طلحة المسير

الفهرس

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
١- مقدمة	٣	٢٥- حملة البراميل الأولى المكثفة	٧٤
٢- التفكير في الجهاد	٦	٢٦- تزايد الخلاف مع تنظيم الدولة	٧٧
٣- مصر والجهاد	٩	٢٧- اندلا ع القتال مع تنظيم الدولة	٨٠
٤- من الحج إلى الجهاد	١٢	٢٨- الاستيلاء على الأرض أولوية عند العدو	٨٣
٥- الوصول إلى تركيا	١٥	٢٩- غرف العمليات	٨٦
٦- دخول سوريا	١٨	٣٠- انسحاب جزء من جبهة النصرة من حلب	٨٩
٧- قمع الثورة السورية	٢١	٣١- اغتيال الشيخ أبي خالد السوري	٩١
٨- أطماع الصليبيين في سوريا	٢٤	٣٢- إعلان ميثاق الشرف الثوري	٩٤
٩- العلمانيون أعداء الإسلام	٢٧	٣٣- استشهاد قادة حركة أحرار الشام الإسلامية	٩٧
١٠- الحقد النصيري على المسلمين	٣٠	٣٤- تدخل التحالف الدولي الصليبي في سوريا	١٠١
١١- الرافضة من ألد أعداء أهل السنة	٣٣	٣٥- التعامل مع ال ب ك ك في عفرين	١٠٦
١٢- الأهداف الروسية في سوريا	٣٦	٣٦- مبادرة مجلس قيادة الثورة	١٠٩
١٣- الشام أرض الأهوال	٣٩	٣٧- تقدم العدو في أطراف حلب باتجاه نبل والزهراء	١١٢
١٤- فضل حلب وبداية الثورة فيها	٤٢	٣٨- معركة رتيان الأولى واستيلاء العدو على باشكوي	١١٥
١٥- الشبيحة في حلب	٤٥	٣٩- مشروع الجبهة الإسلامية بحلب	١١٨
١٦- مراحل تحرير حلب	٤٨	٤٠- تشكيل الجبهة الشامية	١٢٢
١٧- وجود لصوص الثورة في حلب	٥١	٤١- تفكك الجبهة الشامية وظاهرة فشل الاندماجات	١٢٥
١٨- قدومي لحلب	٥٤	٤٢- تشكيل جيش الفتح	١٣٠
١٩- حاجة المجتمع للخدمات	٥٦	٤٣- تشكيل غرفة عمليات فتح حلب	١٣٣
٢٠- بين مرحلة انهيار العدو ومرحلة حرب الجيوش	٥٩	٤٤- بدعة استدراج الكفار لاحتلال ديار المسلمين	١٣٦
٢١- حزب التحرير في حلب	٦٢	٤٥- خطاب التمييع	١٣٨
٢٢- ظاهرة تعدد الفصائل والكتائب وتفرقها	٦٥	٤٦- التدخل العسكري الروسي الميداني في سوريا	١٤١
٢٣- وصول الثورة لذروة قوتها	٦٨	٤٧- التغير الميداني بعد التدخل الروسي	١٤٥
٢٤- حملة دبيب النمل وإشكاليات الرباط	٧١	٤٨- التدخل العسكري التركي الميداني في سوريا	١٤٨

ليالي حلب ١

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.. أما بعد؛

فإن الجهاد الشامي اليوم هو أمل الأمة الإسلامية الحاضر، ومركز الصراع العالمي بين قوى الكفر وقوى الإيمان، وما بعده يقينا ليس كما كان قبله..

وقد شاء الله جل وعلا أن يحملني إلى أرض الشام المباركة، فعاصرت وعاينت وخضت كثيرا من أخبارها وأحداثها.

ومن مدن سوريا نزلت بلا تخطيط مني ولا ترتيب مدينة حلب الشهباء، حلب الشهداء، حلب الملاحم والمآسي، آه إنها حلب وما أدراك ما حلب!

وفي حلب دارت رحى الحرب تطحن الأيام طحنا، وتسارعت فيها الأحداث، وعاصرت بها زمن الانتصار وزمن الانكسار وزمن الرخاء وزمن الشدة..، إلى أن أُخرجنا منها فحملنا أثقال الهزيمة وودعنا حلب وثراها المختلط بدماء الشهداء..

خفف الوطء ما أظن أديم ال... أرض إلا من هذه الأجساد

سر إن استطعت في الهواء رويدا ... لا اختيالا على رفات العباد

ومعلوم أن معركة حلب هي مرحلة من مراحل جهاد الشام ضد النصيرية والقوى العالمية التي تحركهم؛ حيث دخلت حلب في الجهاد المسلح بعد دخول كثير من المناطق في سوريا له، وأتذكر أنه قبل قدومي للشام كنت ألتقي بعض السوريين في الجزيرة العربية وأسألهم عن الجهاد عامة وحلب وحماة خاصة؛ لِما أعلمه أن هاتين المدينتين كانتا بؤرة الجهاد في أحداث الثمانينيات..، ومما علق في ذهني من الأجوبة أن أحدهم تحسر، وقال: لو تحركت حلب لسقط النظام سريعا فحلب هي الثقل الاقتصادي لسوريا وبخروجها عن سيطرة النصيرية يتهاوى النظام..

وشاء الله أن يدخل المجاهدون بعد ذلك لحلب وخاضوا فيها ملاحم تحرر بها نصف

المدينة..، وبعد أكثر من أربع سنين أُخرج المجاهدون من حلب رغم استمرار وجودهم في كثير من المدن غيرها، ولا زال تاريخ الجهاد الشامي حافلا بالأحداث ومغلفا بالمفاجآت، والحرب سجال، والأيام دول، والعاقبة للمتقين..

ورغم أن عادة الكتابات التاريخية أن تكون بعد طوي الصفحة وانقضاء المرحلة وظهور المآلات.. إلا أني أردت كتابة هذه المذكرات في ظل معمعات الأحداث ورحى الحرب الكبرى؛ عل المجاهدين يستدركوا فضيلة فاتتهم أو يحذروا خطيئة تلبستهم، والله جل وعلا يقول: "فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ"..

وهذه المذكرات ليست كتابا تاريخيا يعتني بتتبع الأحداث والأخبار وترتيب تسلسلها والإحاطة بملابساتها، ولكنها مجرد وقفات في محطات معينة تتعلق بقضايا محددة لها خصوصية بالنسبة للجهاد أو المسيرة أو الكاتب أو الكتاب، وهي في مجملها تدل على كثير غيرها..، فلم أعتمد التسلسل التاريخي للأحداث بل الترتيب الموضوعي، ثم سرد الموضوع الواحد بتسلسله التاريخي الذي عاصرته.

ومجمل الأحداث التي أذكرها ليست أسرارا عسكرية فلم يعد في ساحة الشام أسرار!! فقد ابتلينا بشبكات تواصل تنقل الحدث فور وقوعه، وابتلينا بمتسلقين ينشرون الحديث قبل تمامه، وما على من أراد تتبع تاريخ الجهاد الشامي إلا تتبع المواقع والصفحات والحسابات فسيجد مادة غزيرة عن الفصائل وتاريخها وأعدادها بل وأسماء أفرادها الحقيقي والحركي وخلافاتها وتفاصيل اجتماعات شوراها والمعارك والخطط والأسلحة والمحاور..، بل وأذكر مرة أن أحد الطيبين كان يجمع تبرعات لمعركة ويغري الداعمين بأنه سينقل لهم أحداث المعركة على الهواء مباشرة!!

نعم قد تخفى كثير من التفاصيل على كثير من الناس، ولكنها لا تخفى غالبا على المعنيين والمهتمين وأجهزة المخابرات، ولا خوف على الجهاد من نشرها، بل إن كان هناك خوف فهو على الكاتب نفسه في غابة عالمية لا ندري ما المخبوء فيها قابل الأيام، قال الأستاذ حسن البنا رحمه الله في مذكراته: "لا أدري لماذا أجد في نفسي رغبة ملحة في كتابة هذه المذكرات بعد أن أعرضت عن ذلك إعراضا تاما على إثر عثور النيابة على مذكراتي الخاصة سنة ١٩٤٣ وما لقيت من المحقق من عنت وإرهاق في غير جدوى ولا

طائل ولا موجب..، وإن كنت أوصي الذين يعرضون أنفسهم للعمل العام ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة، فذلك أروح لأنفسهم وللناس، وأبعد عن فساد التعليل وسوء التأويل، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل".

وأعلم أن ذكر الحقائق أو القناعات لن يرضي جميع الناس؛ بل سيخالفه ويسخط عليه البعض، "فرضا الناس غاية لا تدرك لاختلاف أغراضهم وتضاد مآربهم، فليتحر المرء الخير بجهده، ولا يحفل بسخط من يرضيه الجور"، وما أرجوه من عبرة ينتفع بها مجاهدو الثغر الشامي أو مجاهدو الأمة مصلحة تفوق مفسدة عيب هذا أو التكلم في ذاك.

أسأل الله أن يجعله لوجهه خالصا وأن يلهمني سداد القول والعمل.

ليالي حلب ٢
التفكير في الجهاد

منذ نعومة أظفاري وقلبي معلق بأرض الجهاد، ولي شغف بمتابعة أحوال الأمة وشؤونها السياسية؛ فقد كان أبي عليه رحمة الله مهتما بهذه القضايا، متابعا عن كثب الأخبار، يكتب دوما الدروس المستفادة منها، وله الكثير من المقالات والدروس المتعلقة بذلك، ومنه تغلغل حب الأمة في قلبي، ولا زلت أذكر عنايته بأحداث الكويت والبوسنة والهرسك وفلسطين وأفغانستان والعراق ووو..

وأذكر كذلك كثيرا من الليالي عندما كنا في مكة المكرمة من سنة ١٤١٣هـ إلى سنة ١٤١٨هـ، ولم تكن هناك مصادر سريعة للأخبار فكان أبي رحمه الله لا ينام حتى يسمع جديد الأخبار من إذاعة مونت كارلو..

وفي تلك المرحلة منَّ الله علي بالمشاركة في أنشطة شبابية بمدرسة ثانوية الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وكانت تلك الأنشطة في ذاك الوقت تغرز في الشباب حب الجهاد والمجاهدين..

وبمجرد عودتي للقاهرة ودخولي الجامعة شاركت في العمل الدعوي بالجامعة وحرصت على الحضور لعدد من مشايخ القاهرة، وكلا الأمرين كانا يبنيان أسسا من أهمها حب الوقوف ضد طغيان الطواغيت المحاربين للإسلام..

وفي تلك المراحل كانت أهم ساحات الجهاد هي: فلسطين والشيشان ثم أفغانستان والعراق..، وكان الذهاب إلى إحدى تلك الثغور أمنيتي وأمنية كثير من الشباب المصريين، ولكنها أمنية مغلفة بالعجز الكامل..؛ عجز عن معرفة الطريق، وعجز عن تأمين الدليل، بل وعجز عن التحدث بالرغبة في النفير؛ فالاعتقالات المنظمة والعشوائية تستخرج من المواقيف أسماء من يعرفونه فكر في الجهاد..

ويبدو أن السبب الأهم لعجزنا هذا هو تقصيرنا كمصريين في الجهاد؛ لما نشأنا عليه غالبا من تهويل للصعاب، فمن تتبع كتب البلدان كمعجم البلدان وأحسن التقاسيم والمواعظ والاعتبار علم أن أكثر أهل مصر بعيدون عن الفروسية..، فأحدهم يصفهم بـ "ضعف.. العزمات" وآخر يقول: "من عيوبهم ضعف قلوبهم" و "أخلاقهم.. قلة الصبر .. وليس هذه الشرور عامّة فيهم ولكنها موجودة في أكثرهم، ومنهم: من خصه اللّه بالفضل وحسن الخلق وبرّأه من الشرور، ومن أجل توليد أرض مصر الجبن والشرور الدنيئة في النفس لم تسكنها الأسد، وإذا دخلت ذلت ولم تتناسل، وكلابها أقل جرأة من كلاب غيرها من البلدان، وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره في البلدان الأخر" بل قيل: "أربعة لا تعرف في أربعة:.. الشجاعة في القبط".

قال أحمد محرم:

بني مصر هيا قد تمادى جثومكم
أأنتم إلى يوم القيامة جثم

بني مصر هذي مصر تبكي مصابها
ألا مشفق يحنو عليها ويرحم

بني مصر هذي مصر قد ساء حالها
وأسوأ حالاً لو تفيقون أنتم

بني مصر قد أوردتمو مصر موردا
يذيق الردى وراده لو علمتم

أسأتم إليها جاهدين وأنتمو
بنوها فهلا للعداة أسأتم

فيا ليتها من قبل كانت عقيمةً
ويا ليتها في مقبل الدهر تعقم

ويؤكد ذلك ما تبين لي مؤخرا بعد أن فتحت الشام أبوابها أن جل المصريين ليسوا من أهل الهمة للجهاد وغاية أمرهم الأماني!!

فعدد سكان مصر مائة مليون، وبها صحوة إسلامية متجذرة في ربوعها، ويكثر فيها طلاب العلم، وكان النفير من مصر لسوريا قبل انقلاب السيسي ميسرا، والمجاهدون يدلون من أراد على الطريق بل وقد يتكفلون بالنفقات أحيانا، ورغم كل ذلك فقد نفر إلى أرض الشام من الجزيرة العربية أو ليبيا أو تونس أو تركيا أو الشيشان أضعاف أضعاف من نفر من مصر.

ولعل هذه الطبيعة كانت من أهم أسباب تسلط كثير من الفراعنة والطغاة على مصر، وتسلط السيسي المعتوه مؤخرا على هذا الشعب الكبير.

لذا لم أستطع النفير إلى أي أرض من أراضي الجهاد، إلى أن جاءت الثورات العربية، وانتشرت وسائل التواصل الاجتماعي التي نقلت كثيرا من الوقائع والأحداث لحظة بلحظة، وأصبح التكلم عن المقاومة والجهاد ومحاولات النفير مما لا خوف منه.

ليالي حلب ٣

مصر والجهاد

ذكرت أن تهويل الصعاب من عادة المصريين التي أدت إلى ضعف همة أكثرهم عن الجهاد، ولكن هذا يوضع في سياقه الطبيعي وهو فهم طبائع الشعوب، فلكل شعب خصائص وطبائع ينبغي على الحركة الإسلامية ملاحظتها؛ لتستطيع توصيل رسالتها لتلك الشعوب من أقرب طريق.

فمصر تاريخيا هي الغنيمة الباردة، مفتوحة أبوابها لمن أرادها؛ فباستثناء صد الحملة الصليبية على دمياط وبعض الوقائع القليلة لا يكاد يذكر التاريخ جيشا قصد مصر ودخل أطرافها فاستطاعت أن تمتنع منه..

ومن ملك الشام سهل عليه أن يملكها، ومن ملك المغرب سهل عليه أن يملكها..

وسبيل الوصول لملك مصر هو بعض القوة مع كثير من الذكاء أو الدهاء؛ لذا يكثر انتقال الحكم فيها بين طبقة الأمراء والوزراء والعسكر بأدنى كلفة...

ومن الأدلة على أن ملك مصر قريب أن من تتبع سيرة الأنبياء عليهم السلام علم أن نبي الله يوسف عليه السلام وفقه الله لمواجهة الجاهلية والجلوس على عرش مصر بطريقة يسيرة عجيبة..

بل إن موسى عليه السلام جاء إلى فرعون الذي طغى في البلاد فأكثر فيها الفساد، فقال فرعون: "إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون"، واضطرب فرعون واستشار حاشيته بصيغة تدل على حيرته: "قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" يقول لهم: فماذا تأمرون! وهو الطاغية

المتجبر المتكبر، وفي النهاية حشد فرعون جنوده من المدائن الكثيرة ليقمع القلة القليلة من بني إسرائيل، ومع ذلك استطاع بنو إسرائيل رغم قلتهم التجمع من بين أظهرهم والخروج من البلاد إلى أن وصلوا البحر..

ولعل هذه الطبيعة للشعب المصري تفسر بعض معاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما"، وكان بفضل الله فتح مصر ميسرا لم يحتج ما احتاجته الشام والعراق من جهود ضخمة ومعارك طاحنة كبيرة..

وليسر الوصول لملك مصر استطاع صلاح الدين الأيوبي –وهو مندوب لنور الدين محمود أحد أمراء الشام– أن ينهي الدولة الفاطمية العبيدية بيسر ولطف..

ولا غرابة أن تكون أيسر ثورة في الربيع العربي هي ثورة مصر، وأول ثورة تجهض كذلك هي ثورة مصر!! وهي بإذن الله أول ثورة قادمة تنهي حكم الطاغوت الجديد؛ فعرش فرعون مصر السيسي بلا عمد؛ لذا يطرد ويطارد ويعتقل حتى من كانوا أنصاره كالبرادعي وشفيق وعنان وصدقي ووو، فهو يعلم أن أي هزة ستطيح به..

ولذلك أيضا حارب السيسي حماس في غزة وأنصار الشريعة في بني غازي فهو يعلم أن ثلة من هؤلاء أو أولئك قد تطيح به، وما شهادة الزور التي أدلى بها حسني مبارك وزعم فيها أن ثمانمائة رجل من حماس سيطروا في ثورة مصر على سيناء والسجون ووو، إلا ذكر لما يتوقع حدوثه ولا يستغرب لا ما حدث فعلا.

ولذا فإن الدعوة التي راجت بمصر لا لأنها أكثر انضباطا بالشرع بل لأنها أكثر ملاءمة لطباع أكثر الشعب المصري هي دعوة الإخوان المسلمين، وهي رغم كل ما لحق بها من أذى لها شعبيتها الكبيرة إلى الآن في المجتمع المصري..

وهكذا فمن تتبع طبائع الشعوب علم من أين تؤكل الكتف...

وعلم لماذا كثر التفرق والتشرذم في فصائل الشام، التي يقول عنها المؤرخون إن "الملك في الشام لا يثبت، لعدم الثبات المغروس في أهله، ولتلون الطبائع فيه تلون أقاليمه وسمائه وهوائه"، هذه الطبيعة التي تناسبت مع كونها أرض الملاحم ومستقر الطائفة المجاهدة إلى يوم القيامة، وأدت كذلك لوجود ملل ونحل انقرضت ولا تكاد توجد إلا في بلاد الشام..

وأدرك كذلك لماذا انتشرت الشدة والغلو في المغرب الأوسط في تونس والجزائر وما حولهما "غلو العلمانيين والتكفيريين والمداخلة"، ولماذا استطاع المجاهدون في تلك المنطقة الاستمرار في الجهاد ثلاثين عاما إلى اليوم رغم الحروب الشعواء التي استهدفتهم؟

ولماذا أصبحت دول شبه القارة الهندية مركزا عالميا لجماعة التبليغ والدعوة وهي المنطقة المليئة بالأديان التي تهتم أكثرها بالنزعة الروحية والتزهد والتقشف؟ ولماذا كثر في تلك البقعة من الأرض توسد النساء لسلطة البلاد.

ليالي حلب ٤
من الحج إلى الجهاد

كنت عندما بدأ الربيع العربي أمتلك إقامة حرة في السعودية أسافر إليها حين أشاء وأعود لمصر وقتما أشاء، وفي سنة ٢٠١٢ كانت الأمور بمصر سارت في اتجاه معين، أما بسوريا فكانت المجازر اليومية التي يرتكبها السفاح النصيري بشار هي المشهد السائد فيها؛ فقررت النفير للجهاد ببلاد الشام، ومكثت بمكة المكرمة شهورا أنتظر حج سنة ١٤٣٣ هـ لأسافر بعده، قال البخاري رحمه الله: "باب عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء إنما تقاتلون بأعمالكم"، فنويت أن أحج ثم أسافر لسوريا، وبدأت في هذه الفترة أفتش عن طريق للسفر إلى أرض الجهاد، وأتسمع أخبار النافرين قبلي، ومن ذلك أني جالست أخا لي في الله في ليلة من ليالي منى تحت جسر الجمرات، وظل يحكي لي أحوال المجاهدين في سوريا وقصصا من واقعهم...

وبعد الحج اتصلت به وطلبت منه أن يرتب لي طريقا للسفر، وذكر أن له طريقا إلى جبهة النصرة في سوريا، وبدأت أجهز أوراق تأشيرة الدخول إلى تركيا، وكانت عبارة عن حساب بنكي، وتأشيرة خروج وعودة، وتذكرة سفر، وحجز فندقي في تركيا، وذهبت للقنصلية التركية في جدة فتعنتوا وذكروا أن إقامتي تابعة للرياض ولا بد أن أذهب للسفارة التركية في الرياض، فسافرت للرياض، ووجدت الإجراءات أيسر من جدة وقدمت التأشيرة، وأخذتها بعد أيام قليلة.

وقد تأخر الذي جالسني بمنى في توصيلي بمن يدلني على طريق الدخول لسوريا، فتكلمت مع أخ آخر كان يعرف أناسا لهم صلة بكتائب أحرار الشام، وطلبت منه السعي في إيصالي بهم، ثم تواصل الأول معي وأخبرني بأن الأمور قد ترتبت وعلمت أن هناك من سيستقبلني في المطار وأخذت بعض التعليمات الأمنية كالمتعلقة بالهاتف والشريحة..

وعلمت أن الشتاء في سوريا أبرد مما تعودت عليه في مصر والسعودية، فاشتريت بعض الملابس الشتوية والرياضية وجهزت حقيبتي..

وبالطبع لم أحلق لحيتي فصوري في جواز السفر باللحية، والظاهر أن السفر إلى تركيا ثم إلى سوريا في تلك الفترة لم تكن فيه مخاطرة..

وموضوع إعفاء اللحية أو حلقها بالنسبة لشباب الصحوة الإسلامية في البلاد التي فيها حساسيات أمنية بالنسبة للحية لا تبلغ فيها تلك الحساسيات في تلك الفترة درجة استئصال الملتحين كمصر والسعودية والأردن قضية شائكة لها أبعادها؛ فهناك من يعفون لحاهم أول سلوكهم طريق الالتزام ويعيشون بها في مجتمعاتهم فتصبح إشارة عليهم في هوياتهم وصورهم الشخصية وتحركاتهم فتعيقهم عندما يلوح لهم طريق العز والجهاد ويسهل على قوى الطغيان تتبعهم..

وهناك من يحلقون لحاهم أول سلوك طريق الالتزام تخوفا من الطغاة وتيسيرا لتحركاتهم؛ ولكن حسب تجربتي غالب من فعلوا ذلك ضعف التزامهم مع طول الأمد؛ لأن الأمر ليس مجرد حلق لحية بل تكون معه أمنيات أخرى غالبا كترك لصلاة الجماعة في المساجد والبعد عن صحبة الملتزمين وعدم حضور حلق العلم...، مما يترتب معه في كثير من الأحيان ترك للالتزام بعد فترة والانزلاق في فتن الجاهلية المعاصرة..

وكنت سابقا أثناء عملي في مجال دعوة الشباب بمصر أختار لمن يستشيرني إعفاء اللحية فضريبة بعض المشاق التي يلقاها بلحيته أهون من ضريبة البعد عن الالتزام التي يسقط فيها الكثير غالبا عندما يتركون الهدي الظاهر؛ لأن اللحية هي التي تربي صاحبها قبل أن يكون هو من يربيها ويطلقها..

أما اليوم وقد تغير الأمر وأصبحت اللحية في بعض الأماكن قد تكلف صاحبها حياته

ويكون مطلقها عرضة للإعدام أو التصفية، فالأمر يحتاج إعادة نظر لكل مجتمع على حدة ولكل شخص على حدة..، خاصة فيمن التزم حديثا ولا معلومات أمنية عنه.

ولكن من اختار حلق اللحية وعدم الظهور بهيئة الملتزمين عليه أن يراقب قلبه مراقبة أمنية شديدة، وليحرص أشد من غيره على الصلاة في أول وقتها وقراءة ورد يومي من القرآن والسماع اليومي للمواعظ، ويفر من رفقة الأشرار فراره من الأسد، ويحفظ سمعه وبصره، ويكثر من صوم النوافل وقيام الليل..، وإلا فدينه أغلى ما يملك فإن رأى انزلاقا وراء شهوته فليفر إلى ملازمة الصالحين..

وهذا الأمر خطير جدا، فقد رأيت وسمعت عمن كان مجاهدا انغماسيا ومن كان حافظا للقرآن، ومن كانوا صالحين، فلما ذهبوا لتركيا لغرض من الأغراض وابتعدوا عن الهدي الظاهر ومصاحبة الأخيار ضعف التزامهم مع الأيام حتى تركوا بعد شهور الصلاة وسقطوا في مستنقع الرذائل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالحرب مع الجاهلية المعاصرة فتاكة ولا بد من اليقظة التامة؛ فمن لم تقتله صواريخ العدو ورصاصاته اجتهدوا في قتل قلبه بسهام الفتن والشهوات والشبهات.

ليالي حلب ٥
الوصول إلى تركيا

حجزت مقعدا في الطائرة المتوجهة من جدة إلى أنطاكيا ليلة الأول من الشهر الثاني عشر لعام ألفين واثني عشر بالتقويم الميلادي، وكان السفر ليلا، وموعد الوصول فجرا..

وفي الطائرة فكرت في كنيتي الجديدة التي ستكون في أرض الجهاد بديلا في الغالب عن اسمي، واخترت بعد تفكير أبا شعيب، تأسيا بنبي الله شعيب صلى الله عليه وسلم الذي يسميه العلماء خطيب الأنبياء، فقد كانت نفسي تحدثني أحيانا أني خطيب بارع؛ ذلك أني ألثغ بيِّن اللثغة لا أستطيع نطق ستة حروف هي: الثاء والذال والزاي والسين والصاد والظاء، ومع ذلك جاهدت نفسي حتى كنت أخطب الجمع وألقي المحاضرات ولا أنطق بأي حرف منها! وأستبدل كل كلمة فيها حرف من تلك الحروف بكلمة مرادفة لها...

ومما يذكره الأدباء في هذا الباب من باب التعجب ما كان يفعله واصل بن عطاء وكان ألثغ في حرف الراء فقط، فقال الجاحظ عنه: "رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه وإخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأنى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل، ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له".

وأذكر أن أبي رحمه الله كان يشجعني على التصدر للوعظ وهو يظن ذلك شبيها بالمحال، وفي يوم من الأيام كنا نتناول طعام الغذاء فشجعني كعادته، فقلت له: لو خطبت الجمعة ما مكافأتي؟! فتعجب! واشترطت عليه أن يكافأني بتكاليف سفر للعمرة إن خطبت الجمعة، فوافق، وبالفعل خطبت أول جمعة لي بعد هذا الغذاء وفزت برحلة عمرة في صيف عام ٢٠٠١م، وكنت وقتها في العطلة الصيفية للسنة الثالثة من الدراسة الجامعية..

طارت الطائرة فوق عدة بلاد إلى أن اقتربت من تركيا، وبسبب الظروف الجوية اضطر

الطيار إلى النزول في أضنة، وهي مدينة تبعد عن أنطاكيا أكثر من مائتي كيلو، وبهذا لم يتمكن الشخص الذي كان من المفترض أن يستقبلني في مطار أنطاكيا من لقائي، وطلب مني أن أسافر لأنطاكيا وأجلس في فندق مؤقتا إلى أن يأتيني.

وقامت إدارة مطار أضنة بتوفير سيارات لنقل المسافرين إلى أنطاكيا وركبت معهم، وكان الأتراك يتكلمون اللغة التركية عدا بعض الأشخاص يتكلمون العربية، فسألت أحد الأتراك الذين يتكلمون العربية عن فندق، فأخبرني أن أقرباءه سيستقبلونه ويمكنني الذهاب معه وهناك فندق يمكن أن يدلونني عليه.

وبالفعل جاء رجل وطفل في الثانية عشرة من عمره وركبت معهم، وفي الطريق سألت الطفل عن حفظه للقرآن فلم يكن يحفظ شيئا، فطلبت منه أن يقرأ الفاتحة فقرأ بعض آيات منها ولم يستطع إكمالها!، وفيما بعد علمت أن جل عرب أنطاكيا هم من النصيرية العلوية!!..

فيتعجب زائر هذا الجزء من تركيا من متكلمين بالعرب نصيرية ومتكلمين بالتركية سنة، مع أن أنطاكية وما حولها هي من بلاد الشام فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما أصبحت في حدود تركية باتفاق فرنسي تركي يسمونه اتفاق "فرانكلين بويون".

وأثناء سفري من أضنة إلى أنطاكيا كنت أتعجب لجمال الطبيعة والجبال الخضراء ومولدات الكهرباء الهوائية، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: "ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، هي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير".

ركبت معهم واشترى لي شريحة للهاتف، وأوصلني لفندق ادعى أنه لا يوجد عنده حجز ليوم واحد وأقل شيء هو يومان، وأخذ مائة ليرة تركية ثمن الطعام في اليومين، وكنت

أتجاوب معه وأدفع ما يطلب؛ لأني غريب أخشى أن أتعامل مع الناس فتثور الشكوك، مع شعوري أنه محتال يستغل وجودي كسائح لتحقيق مكاسب مادية..

دخلت الفندق في حدود العاشرة صباحا، وبدأت أتواصل مع الدليل، وبعد الظهر طلب مني الذهاب إلى حديقة عامة في الريحانية لنلتقي هناك.

حملت حقيبتي وطلبت من صاحب الفندق سيارة أجرة لتوصيلي إلى الريحانية، فاستغرب صاحب الفندق جدا، كيف أني دخلت قبل ساعتين واستأجرت لمدة يومين ثم أريد الخروج مباشرة!، وشعر أن في الأمر شيئا، وطلب الانتظار إلى أن يتواصل مع التركي الذي أوصلني للفندق، ولكن وجدت سائق سيارة أجرة موجودا في الفندق فقلت له: عندي أعمال وليس لمن أوصلني للفندق دخل في الأمر، وسارعت إلى الخروج والركوب مع سائق السيارة الأجرة.

انطلقت السيارة إلى الريحانية وفتح السائق عداد الحساب، وفوجئت أن العداد يحسب أرقاما كبيرة، فالمسافة قرابة خمسين كيلو، والعداد تجاوز المائتي ليرة تركية –قرابة ثمانين دولارا وقتها–، فسألته باستغراب، فأكد أن تسعيرة العداد هي تسعيرة حكومية لا دخل له فيها، وفيما بعد علمت أن ثمن البانزين في تركيا مرتفع جدا يعادل أكثر من عشرة أضعاف ثمنه في مصر أو السعودية، وعلمت كذلك أنه توجد سيارات للأهالي وليست أجرة يمكن استئجارها وتكون أجرتها أقل من ذلك بكثير.

ليالي حلب ٦

دخول سوريا

ذهبت إلى الريحانية وبعد دقائق انتظار جاء مهرب تركي وأركبني معه في السيارة، ثم ذهب وأحضر ثلاثة كانوا ينتظرونه كذلك، وسار بنا إلى قرية حدودية، وبعد دقائق مشينا في أراض زراعية، وأسرعنا المشي كي لا يلاحظنا حرس الحدود، وعندها شعرت بصعوبة حمل الحقيبة الثقيلة والجري بها، وساعدني المهرب في حملها، وتمنيت ألا أكون أحضرتها، وقد علمت فيما بعد أن بسوريا كل ما يحتاجه المجاهد في سفره وجهاده وإقامته بسوريا، ولو أتى المجاهد معه بمجموعة ملابس واحدة للتبديل لكفى، وتخطينا السلك الشائك الممزق بأطمة، وبعد أن تجاوزناه بمئات الأمتار وصلنا إلى سيارة فودعنا المهرب وركبنا السيارة، وكان المهرب أخذ أجرته مائة دولار مقابل تهريبنا نحن الأربعة، "أما أسعار التهريب اليوم فقد تضاعفت كثيرا؛ فأصبح التهريب التقليدي يكلف الشخص الواحد أربعمائة دولار عادة، وهناك درجات في التهريب تبلغ ألفي دولار للدرجة السياحية!!"..

وقد كنت أتوقع أن الذي سيقوم بتهريبي من تركيا إلى سوريا أخ مجاهد يعمل في تأمين طرق الإمداد للإخوة، ولكني وجدت أن المهرب التركي عبارة عن شخص تركي عادي غير ملتزم من سكان المناطق الحدودية..

وفي المرات التالية التي تعاملت فيها مع قضية دخول وخروج بعض الإخوة إلى تركيا لاحظت نفس الشيء، وهو أن التعامل إنما يكون مع مهربين غير ملتزمين دينيا يتاجرون بهذا العمل، بل الطبع العام في كثير منهم أنهم عصابات إجرامية لا مبادئ عندهم سوى جني المال...

وأحيانا يمشي المهرب مع الناس قليلا ثم عندما يقترب من الخط الفاصل بين سوريا وتركيا يقول لمن معه: سيروا للأمام ثم سيروا يمينا ثم كذا وكذا..، وسيلقاكم في الطرف

الآخر من يكمل الطريق، فتسير الناس فإن وصلت للمكان المحدد وجدت من ينتظرهم وإن أعاق سيرهم حرس الحدود كان من ينتظرهم في مأمن!!.

وكثيرا ما يجند المهربون كذلك أطفالا في سن الثالثة عشرة يرسلونهم مع المسافرين كأدلاء؛ فإن وصلوا فبها ونعمت، وإن حال الأمن دون وصولهم تعرض هؤلاء الأطفال للخطر لا المهرب الحقيقي.

وكذا لاحظت على المهربين أنهم يعملون بتناغم مع سياسة الدولة التي يعملون فيها، فالمخابرات تسمح بذلك وتستفيد منه لتحقيق مآرب كثيرة، وتضيق عليه أحيانا، وتمنعه أحيانا، حسب ما يمكرون، وما حصل وتكرر من حرس الحدود التركي من قتل وقنص للمسافرين تهريبا من نساء وأطفال وعجائز إنما هو عبارة عن ضباط وجنود يتسلون بقتل الناس، فهم يعلمون أنه لا قوة تثأر لهؤلاء المساكين، ولا قانون ببلدهم يحاسبهم على قتل من تسللوا لحدود "الوطن!".

والغالب كذلك على المهربين أنهم من أبناء المناطق الحدودية ويضايقون أي مهرب غريب يأتي لمنطقتهم؛ ليستحوذوا على أرباح التهريب لأنفسهم، وليمنعوا اختراق منطقتهم عندما يصدر أمر بمنع التهريب أو ضبط أجناس أو أوصاف معينة من العابرين للحدود..

ورغم أن التهريب امتد ليشمل التهريب من سوريا إلى تركيا وبالعكس، ومن بقية الدول المجاورة لتركيا إلى تركيا وبالعكس، ومن سوريا إلى الدول المجاورة لها وبالعكس، ومن مناطق النفوذ المختلفة بسوريا بعضها مع بعض، إلا أن الغالب على شبكات التهريب أنها شبكات إجرامية تسير في اتجاهات محددة برضا مخابرات معينة، ولم تستطع قوى الثورة والجهاد تأمين شبكات تهريب قوية آمنة، وهذا من مكامن الضعف والثغور المنسية التي لم تجد بعد من يسدها.

لذا فالأصل في المجاهد الذي يسير مع مهرب من شبكات التهريب التقليدية أن يأخذ احتياطاته، ولا يفصح للمهرب عن معلوماته الخاصة، وإن شعر أن المهرب يستغله ببعض المال في إطار مقبول عادة فلا يدقق عليه، ويقطع علاقته مع المهرب بمجرد الوصول لمأمنه؛ بحيث لا يعرف المهرب مكان إقامته الذي سينزل فيه.

وبالعموم فقد أدخلني المهرب إلى سوريا.. ووصلت بفضل الله تعالى إلى أرض الجهاد..

ليالي حلب ٧
قمع الثورة السورية

هلت ثورات الربيع العربي فواجهها المجرمون بالحديد والنار، وكانت جرائم العسكر في تونس ومصر التي واجهوا بها الجماهير تهيج الشعوب على لفظ تلك الحكومات المجرمة..

ولكن صور القمع وجرائم الطغاة أخذت صورا أبشع في ثورة ليبيا؛ حيث كان إجرام القذافي يفوق كل من سبقه من الطغاة في مواجهة الثورات الشعبية.

ثم جاءت ثورة سوريا المباركة ففعل بشار اللعين ما لا يخطر على بال ثلة من الشياطين؛ فالمجازر يومية، والتفنن في قتل الناس سلوك دائم، وأصبح العالم يشاهد على الهواء مباشرة: هدم المنازل، وتحريق البشر، وتمزيق الأجساد، وتهجير الأهالي، واجتياح المدن، وإذلال الشعب، والاعتقال العشوائي، والاعتداء على النساء، وغير ذلك الكثير الكثير في سلسلة من الجرائم الفظيعة التي ستكتب قطعًا في سجل أكابر المجرمين عبر التاريخ...

وكنت قبل الهجرة للشام شاهدت صورا للمجازر والجرائم التي يرتكبها بشار اللعين وتأثرت كثيرا بها، ولكن ليس من رأى كمن سمع، ولا من عاين الخبر كمن شاهد صوره، وشتان شتان شتان بين الأمرين؛ فلا زلت أذكر أول مذبحة شاهدتها لا في الصور بل بعيني المجردة في سوريا، وذلك في أوائل سنة ٢٠١٣م حين كنت خارجا من صلاة الظهر في مسجد فاطمة عقيل بحي السكري، وضرب الطيران ضربته، فهرعنا صوب المكان المقصوف وهو عدة منازل سكنية تقع بعد مشفى الزرزور بحوالي مائة متر، فهدم مبان، وقتل وجرح العشرات من الساكنين في تلك المنازل، وبدأ الناس يجمعون الجثث والأشلاء من هنا وهناك، وهم ينظرون للسماء خوفا من غارة جديدة على نفس الموقع كعادة

المجرمين اللئيمة في ضرب المكان المستهدف بعد أن يتجمع الأهالي لانتشال القتلى وإسعاف الجرحى..، وكان يومها يوما عصيبا بالنسبة لي، فلم أعاين قبل في حياتي مثل هذا الإجرام، ولم أر قبل تناثر الجثث والأشلاء وتفحمها..

وبعد هذا المشهد رأيت –ووأسفاه– مشاهد كثيرة، كلها تدل على مدى جنون وإجرام ودموية بشار ومن معه وشدة حقدهم وعداوتهم للمسلمين..، "أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا"..

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كل هذا الإجرام الذي بلغ مرحلة الإبادة الجماعية للشعب السوري؟

هل لأن العدو نصيري؟

أم لأن بشار يريد أن يسير على نهج أبيه الملعون حافظ؟

أم لأن من يسانده الروافض؟

أم لأن الروس دخلوا الحرب بقوة؟

أم لأن الحرب في سوريا حرب عالمية ثالثة؟

أم لأن الأحزاب العلمانية والبعثية شعرت بالنهاية؟

أم لأن بقايا الاشتراكية لا تعرف سوى الدم؟

أم لأن الصهيونية أرادت إبادة مسلمي سوريا ليسهل عليهم الوصول للفرات؟

أم لأن الحضارة الغربية المعاصرة أرادت التمهيد لمرحلة التوحش الحضاري؟

أم لأن العدو النصيري مدعوم عالميا؟

أم لأن تغيير الخريطة السكانية الديموغرافية العقدية والعرقية بسوريا من أهم أهداف العدو؟

أم لأن الأعداء أرادوا إيقاف مد الثورات العربية وجعل السوريين عبرة لغيرهم؟

أم لأن الجهاد في سوريا خرج عن سيطرة القوى العالمية؟

أم لأن الشام أرض الملاحم؟

أم لكل ذلك ولغيره من الأسباب السرية التي يحيكها معسكر الشر الخبيث؟

هذا ما أحاول الإجابة عليه في الحلقات القادمة بإذن الله تعالى..، ولكن مختصر الأمر هو قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"..

ليالي حلب ٨
أطماع الصليبيين في سوريا

قبل ألف وأربعمائة وخمسة وعشرين عاما هجريا كانت معركة اليرموك الفاصلة في أرض الشام المباركة، وجر الروم ذيول الهزيمة، والتفت هرقل وهو منهزم هارب وراءه، وتمتم باكيا بعبارات الوداع..

ولا أدري هل قال هرقل يومها: "السلام عليك يا سوريا، سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفا"..

أم قال: "وداعا يا بلاد الشام؛ وداعا ما أطول أمده"

أم قال: "السلام عليك يا أرض سوريا إلى يوم اللقاء"..

لا أدري فهناك روايات تاريخية متعددة، ويصعب تحديد اللفظ الدقيق الذي قاله هرقل، ولكن الذي أعلمه تاريخيا أن الروم خرجوا من سوريا ثم عملوا جهدهم عاما بعد عام وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل للعودة لها...

وكانت بلاد الشام عبر التاريخ ثغرا خطيرا، ينطلق من أطرافها المسلمون لفتح بلاد الروم، ويقصدها الروم بضراوة للاستيلاء عليها ويدافع عنها المسلمون، وكانت الحروب بين المسلمين والروم تجري في الصوائف والشواتي والربيعيات..، ولا زال التاريخ يذكر كثيرا من تلك المعارك التي يغفل عنها الكثيرون كمعركة طرسوس العظيمة سنة سبعين ومائتين التي أباد فيها جيش المسلمين جيش الروم العرمرم وقال عنها المؤرخون: "ولم يفلت منهم إلا القليل، وذلك في ربيع الأول وكان فتحا عظيما عديم المثيل من الله به على الإسلام"..

وظل هذا الحال إلى أن استطاع الصليبيون احتلال كثير من مدن الشام في حملاتهم الصليبية المشهورة، وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل وما تشيب له الولدان، فاجتاحوا سنة واحد وتسعين وأربعمائة معرة النعمان فاستسلم أهلها فقتلوا منهم ما يزيد على مائة ألف، ثم بعد ذلك بشهور قليلة دخلوا بيت المقدس وقتلوا فيه سبعين ألفا من المسلمين، وهذا العدد المهول قبل ألف عام يبين شدة الحقد الصليبي الأوربي على الإسلام، وهو أكبر من العدد الحقيقي لمن استشهد إلى اليوم في الثورة السورية على يد تحالف الشر "النصيري النصراني الشيعي الشيوعي"، فإذا اعتمدنا المعدل اليومي للذين استشهدوا في حملة العدو ضد حلب والغوطة وهو خمسون يوميا، كمعدل عام في الثورة السورية الممتدة منذ ثمان سنوات، فهذا يعني قرابة ٣٠٠٠ يوم * ٥٠ شهيدا يوميا = مائة وخمسين ألف شهيد..، [ومما يجدر التنبيه عليه أن كثيرا من الإحصائيات المنتشرة في الثورة السورية تحتاج تحقيقا علميا، كي يكون التوصيف قريبا من الواقع والتصور صحيحا للمآلات]..

وظلت المعارك الطاحنة بين المسلمين والصليبيين عبر السنين، إلى أن استطاع المسلمون بعد قرابة مائة عام من الحملات الصليبية تطهير أكثر بلاد الشام منهم، ولكن بقيت لهم آثار منها قوة صلتهم بنصارى وباطنية الشام، مما ساعدهم كثيرا في مراحل صراعهم التالية مع المسلمين.

ثم جاءت الحملات الصليبية المعاصرة الفرنسية والبريطانية لتدخل الشام مرة جديدة، وترتكب الجرائم وتحارب الإسلام ويقول الجنرال الإنكليزي أللنبي حين دخل القدس في الحرب العالمية الأولى: "الآن انتهت الحروب الصليبية"!!

أما الجنرال الفرنسي غورو عندما انتصر في معركة ميسلون ودخل دمشق فقد توجه فورا إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه، وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين"، وقال: "إن حضوري هنا يقدس انتصار الصليب على الهلال".

إن الاحتلال الأوربي الفرنسي والإنجليزي لبلاد الشام في القرن الماضي هو حلقة من سلسلة صراع طويل بين أمة الإسلام والحضارة الغربية، وهو صراع ديني في المقام الأول والأخير.

وقد كان الاحتلال الأوربي لبلاد الشام يأخذ شكل بسط السيطرة العسكرية الواضحة إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية التي وقعت بين الأوربيين بعضهم البعض فدمرت حضارتهم وأبادت جيوشهم وخرج جميعهم منها منهارين، فقرر الاحتلال التخفف من الأعباء التي لم تعد تطاق وتحقيق غايته من تلك البلاد التي يحكمها بطريقة أخرى لا تضطره لتحريك جيوشه، وهي زرع العملاء له والمنفذين لخطته في تلك البلاد، وبذا يضمن أمرين؛ هما: قمع الشعوب كي لا تنهض، ونهب خيرات وثروات البلاد..

وقد كان ذلك في بلاد الشام، عبر استغلال الأديان الباطنية كالنصيرية والدروز، والأحزاب العلمانية كالبعثية والديمقراطية، والديانات الكافرة كاليهود والنصارى، وهو ما نجني ثمرته اليوم في الثورة السورية اليتيمة...

وصدق الله القائل: "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ".

ليالي حلب ٩

العلمانيون أعداء الإسلام

في أوائل سنة ٢٠١٣ كان لي صديق عزيز مجاهد من قرية أطمة الحدودية، وحدثني رحمه الله –وقد استشهد بعد في معركة تحرير إدلب–، أن له قريبا اسمه مصطفى الشيخ [رئيس المجلس العسكري للجيش السوري الحر سابقا] هو ضابط منشق من أوائل الثورة ويسكن في عقربات، وأنه رجل فيه خير..

وبعد سنين عندما حصلت هجمة الإبادة الوحشية الروسية على حلب التي أدت إلى خروج المجاهدين منها خرج مصطفى الشيخ هذا من روسيا معلنا "أن التدخل الروسي مختلف عن تدخل بقية الأطراف، وروسيا دولة عظمى ليست بحاجة لاحتلال سوريا، وروسيا ليست دولة محتلة، وأنه شخصيا يرحب بالدور الروسي رغم أن فيه دماء، وأحيانا روسيا تقصف بشدة لأن هذه الفصائل لا تفهم، وأنه شخصيا يرحب بأن تتدخل روسيا على غرار ما صار في حلب في كل المناطق بهذه الطريقة"!!.

إن هذا الضابط هو مثال لطائفة العلمانيين في بلاد المسلمين، وهي طائفة ردة وزندقة تحارب الإسلام كدين شامل ونظام حياة، ومع ذلك يظن البعض أنها من المسلمين! ويتعامل كثيرون معها ببساطة متغافلين حقيقتها..

هؤلاء العلمانيون هم الوكيل الأصلي للمحتل الأوربي؛ فقد كانت بلاد الشام المباركة بلاد العلم والعلماء عبر التاريخ، ثم أصبحت بلاد الشام منذ دخول المحتل الأوربي الإنجليزي والفرنسي تعج بالمدارس والجامعات والمنتديات الأدبية والكتب والمجلات والإذاعات التي تنشر تلك الأفكار المناقضة للإسلام، فصنع الغرب على عينه جيشا من العلمانيين يكمل مهمته من بعده على أتم مما بدأ به، فاصطنعهم لخدمته ورباهم على عبوديته، ثم أطلق أيديهم لحرب الإسلام والمسلمين، "تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ".

وقد استخدم هؤلاء العلمانيون مصطلحات وتجمعات يمارسون من خلالها حربهم على الإسلام؛ كالقومية العربية والديمقراطية والاشتراكية وحزب البعث وتحرير المرأة ووو وغير ذلك من شعارات لا يجمعها إلا نبذها دين الله جل وعلا وراء ظهورها، وتقديمها حثالات الأفكار على كلام الله جل وعلا، قال تعالى: "اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ".

وقد جمعت تلك الأفكار العلمانية المرتدين والكفار ممن أصلهم مسلم أو باطني أو نصراني؛ يهدم كل منهم ما استطاع من حصون الأمة الدينية والفكرية والثقافية والاجتماعية...

ماذا جنى سنة سوريا من أناس كان آباؤهم من أهل السنة والجماعة بل ومن آبائهم شيوخ وعلماء، وهم من ربوع دمشق وحلب وحماة ودرعا ودير الزور ووووو، ومع ذلك اعتنقوا تلك الأفكار العلمانية ك: صلاح البيطار ومصطفى طلاس وشكري القوتلي وحسني الزعيم وأمين الحافظ وعبد الحليم خدام وزهير مشارقة وأحمد الخطيب وأكرم الحوراني وناظم القدسي وسامي الجندي وفاروق الشرع ووو..

ماذا جنى المسلمون من هؤلاء سوى الخراب والدمار وحرب الإسلام وقمع المسلمين وخيانة أهاليهم وموالاة أعدائهم والهزائم والنكسات..

وقد كان لهذه الأفكار العلمانية أثر كبير في مواجهة الثورة السورية المباركة عن طريق تأييد النظام النصيري والوقوف معه وزج كثير من أبناء السنة في جيشه وتشكيلات شبيحته بمزاعم الحرب الكونية على الوطن والحفاظ على ما يسمونه زورا دولة الممانعة.

وَوُجهت الثورة السورية المباركة كذلك بمؤامرات العلمانيين الذين زعموا أنهم خرجوا ضد إجرام بشار ولكن تحت أهداف علمانية؛ فكانت من مشاريعهم: الائتلاف الوطني، والحكومة المؤقتة، وهيئة التفاوض، والجيش الوطني، وغير ذلك من صور التكتلات التي تهدف إلى إخضاع الثورة السورية للهيمنة الغربية وإجبارها على الخضوع للتفاهمات الدولية وضمان إبعاد الإسلام عن الثورة في حال تحقيق الثورة للنجاح.

بل وصل بهم الحال إلى تطبيق القوانين التي يحكم بها بشار اللعين في المناطق التي تحت سيطرة حكومتهم المؤقتة!!، قال تعالى: "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ".

ليالي حلب ١٠
الحقد النصيري على المسلمين

إن ظاهرة الحقد النصيري الشديد على مسلمي سوريا ظاهرة جديرة بالبحث والتأمل.. هذا الحقد على أهل السنة الذي جعل جرائم بشار اللعين في ثمان سنين بسوريا تفوق جرائم اليهود في ثمانين سنة بفلسطين؛ فمذابح صبرا وشاتيلا التي يذكرها التاريخ بكل أسى قتل اليهود فيها أربعة آلاف، ومذابح دير ياسين قتلوا فيها ما يقارب الأربعمائة، وكذلك مذابح كفر قاسم وقانا تراوح عدد الضحايا فيها بين العشرات والمئات، أما بشار الأسد فيرتكب شهريا أكثر من هذه المجازر.

وكان أبوه من قبله النصيري حافظ الأسد بدافع الحقد الطائفي الذي يغلي في قلبه وقلب طائفته قتل عشرات الآلاف من الفلسطينيين السُّنة في مخيمات لبنان..، ثم بعد زمن يسير قتل عشرات الآلاف من السوريين السُّنة في حلب وحماة وجبل الزاوية.

– إن أول أسباب الحقد هو العداوة الدينية؛ فالنصيرية طائفة تشرك مع الله جل وعلا آلهة أخرى، وتُقلد كثيرا من الكفار في عقائدهم الكفرية؛ ومن ذلك أنهم يقلدون النصارى الذين افتروا كذبا أن الله جل وعلا حلَّ في عيسى عليه السلام، فيعتقد النصيرية "العلويون" أن الله جل وعلا يظهر في صورة أشخاص من البشر وأنه حلَّ في علي رضي الله عنه.

والنصيرية لا يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار؛ بل يقولون بتناسخ الأرواح، وأن الأرواح الصالحة تحل بعد موتها في النجوم أو في جسم شخص آخر، والأرواح الشريرة تحل في أجسام الحيوانات والحشرات.

وهؤلاء النصيرية العلوية يكثر فيهم سب الإله جل وعلا ونبيه صلى الله عليه وسلم، ويلعنون كبار الصحابة ويتبرؤون منهم، ولا يعرف بينهم علماء للإسلام وقراء للقرآن وحفاظ للسنة..

وهم معروفون بالفحش وقلة الحياء والغيرة وشرب الخمور وأكل المحرمات وعدم التنظف والتطهر..

– وثاني أسباب الحقد أنهم طائفة دنيئة النفس؛ فهم تاريخيا يعيشون منعزلين في أقاصي البلاد في الحدود الفاصلة بين مسلمي الشام ونصارى الروم، ويتخذون من جبال ومرتفعات الساحل السوري موطنا يلتجؤون له ويحتمون به..

وهم تاريخيا أقلية متفرقة لا أمل عندها في حضارة ولا سيادة، فهل سمع أحدنا عن كتائب نصيرية قدمت مثلا من تركيا لتساند نصيرية سوريا كما فعل أهل السنة وكما فعل الرافضة؟!.

هم باختصار لا دين عندهم ولا دنيا لديهم؛ فاعتقادهم بمعتقداتهم الدينية ضعيف جدا وليسوا ممن يضحي كثيرا من أجل عقيدته فهم أشبه بالملاحدة، وليسوا تاريخيا من أهل البأس والشدة والرأي والحنكة.. خاصة مع العوامل الثقافية المعاصرة التي أصابتهم فجعلتهم أكثر إلحادا وأقل رجولة.

– وثالث أسباب الحقد أن وصولهم لحكم سوريا لا يستقيم مع منطق ولا عرف؛ فهو على شفا جرف هار يوشك أن ينهار مع أي هزة، فهم يقتلون ويدمرون بشراسة على أمل الحفاظ على ملكهم، فلم يحكم النصيرية سوريا بقوتهم ولا بجنودهم؛ إنما عبر مراحل متتالية خطط لها وأشرف على تنفيذها المحتل الفرنسي الذي دخل سوريا فأنشأ دولة سماها دولة العلويين جعلها خاصة بهؤلاء النصيرية، وأقام لهم جيشا وأعده ودعمه وطوره ونظم أموره، فلما خرج المحتل الفرنسي ظاهريا من سوريا كان جنوده المخلصون يسدون مسده ويقومون مقامه، فاستغلوا حالة العلمنة التي نشرها في البلاد وبزعم نبذ الطائفية أصبح النصيري والنصراني ومن أصله مسلما أعضاء في حزب البعث يحاربون به بقايا الإسلام في

المجتمع..

واستغل النصيرية كذلك حالة الحرب التي قامت ضد الإسلام وتعاليمه وشيوخه في كثير من البلاد كتركيا على يد أتاتورك ومصر على يد جمال عبد الناصر ليحاربوا الإسلام في سوريا.

لقد استخدم النصيرية البطش الشديد؛ لأنهم يعلمون أنهم الحلقة الأضعف في سوريا؛ فليس لهم تاريخ مشرف، ولا حاضنة اجتماعية، ولا تحالفات حقيقية، ولا بنية دينية، ولا أخلاق فروسية، فهم يقاتلون ويقتلون بكل وحشية لأنها الفرصة الوحيدة لحكم الشام التي سنحت لهم على يد الفرنسيين بعد أكثر من ألف عام ولو ضاعت منهم فقد لا تعود أبدا.

إن استمرار وجود النصيرية في الصفوف الخلفية مقدمين الجنود الذين أصلهم من أهل السنة أو حتى الرافضة للقتال والقتل يجرئهم على الاستمرار في الإجرام والتدمير؛ لأنهم في مأمن من كثير من ويلات الحرب، فلا بد من إخراج النصيرية من المعادلة كليا عبر توجيه دفة الحرب نحو صدورهم ليذوقوا ويلاتها أضعافا مضاعفة، وعندها سينسى كل خليل منهم خليله وينحل عقد طائفتهم.

وإن ما يحكى ويقال من أن الثورة المباركة التهمت سبعين ألفا من شبابهم هي قصص وإحصائيات وهمية لا تمت للحقيقة بصلة، بل قتلاهم أقل من ذلك بكثير جدا، ولم تصل النار لأجوافهم بعد..

ليالي حلب ١١

الرافضة من ألد أعداء أهل السنة

كتبت مرة مقالة عن حقد النصيرية، وذكرت حقد تيمور لنك الذي فعل بالمسلمين الأفاعيل في حدود سنة ثمانمائة من الهجرة، فقد غزا مشرق العالم الإسلامي وكان الأصل في تيمور وأعوانه عندما يدخلون مدينة أن يسرفوا "في القتل والسبي والنهب على عوائدهم القبيحة" فمثلا يحدثنا ابن تغري بردي في كتابه المنهل الصافي أنه :"قتل من كان بتكريت وقلعتها من الرجال والنساء والأولاد"، وفي آمد "وضع فيها السيف حتى أفنى جميع رجالها، وسبى نساءها وأولادها، وكان قد دخل منهم إلى الجامع نحو الألفين فقتلوهم عن آخرهم، وأحرقوا الجامع ورحلوا"، وفي حلب كان "الناس في أشد العقوبة من العذاب والعقاب والسبي والأسر والفجور بنسائهم، والمدارس والجوامع في هدم، والدور في خراب وحريق إلى أن سار من حلب.. بعد أن بنى بحلب عدة مآذن من رؤوس بني آدم"، وفي دمشق "أباح لمن معه النهب والسبي والقتل والإحراق..، وسبوا النساء والأولاد، وفجروا بالنساء جهارا..، وألقوا النار في المباني حتى احترقت بأسرها"، "ونزل على بغداد وحصرها حتى أخذها عنوة.. ووضع السيف في أهل بغداد، وألزم جميع من معه أن يأتي كل واحد منهم برأسين من رؤوس أهل بغداد، فوقع القتل في أهل بغداد حتى سالت الدماء أنهارا..، فبنى من هذه الرؤوس مائة وعشرين مئذنة".

هذي منازل قوم قد عهدتهم

في رغد عيش رغيد ما له خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا

إلى القبور فلا عين ولا أثر

بعد أن نشرت المقالة المذكورة عن حقد تيمور لنك لعنه الله وأنه نصيري راسلني أحد الإخوة وأخبرني أنه في الأصل رافضي إمامي وليس نصيريا، وكان مصدري في ذلك أن النصيري محمد أمين في كتابه تاريخ العلويين ذكر أنه نصيري، فتأملت كتاب تاريخ العلويين

وراجعت ترجمة تيمور لنك لعنه الله في كتب التاريخ، فظهر لي أن كتاب تاريخ العلويين لا يصلح كمرجع وأن مؤلفه يخلط كثيرا وينسب للنصيرية من ليس منهم رغبة في ذكر أمجاد لطائفته، وأن الأصح أن ظاهر تيمور لنك أنه رافضي إمامي سار على طريقة آبائه التتار الملاحدة فكان من المرتدين..

ومن أسئلته التي تدل على أنه رافضي ما دار بينه وبين علماء حلب: "ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد؟".. فأشار ابن الشحنة إلى القاضي شرف الدين وكان إلى جانبه، وقال له: "اعرف كيف تجاوبه فإنه شيعي"، "فقال القاضي علم الدين القفصي المالكي كلاما معناه أن الكل مجتهدون، فغضب لذلك غضبا شديدا، وقال: علي على الحق، ومعاوية ظالم، ويزيد فاسق، وأنتم حلبيون تبع لأهل دمشق، وهم يزيديون قتلوا الحسين"، قال ابن الشحنة: "فأخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بأنه أجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه!..، وحضر صلاة المغرب وأقيمت الصلاة وأمنا عبد الجبار وصلى تمرلنك.. قائما يركع ويسجد".

قال الشوكاني في البدر الطالع مقارنا فعل الرافضي تيمور لنك بفعل أسلافه التتار الملاحدة: "أخذ تيمور دمشق.. ولم يصل التتار أيام هولاكو إلى قريب مما فعل بها التتار أيام تيمور..، إن جنكزخان ملك التتار وإن كان قد أهلك من العباد والبلاد زيادة على ما أهلك هذا إلا أن ذاك لم يباشر ما باشره هذا ولا بعضه..، ويعتمد قواعد جنكزخان ويجعلها أصلا ولذلك أفنى العالم مع تظهره بالإسلام وشعائره..، وكان مغرى بغزو المسلمين دون الكفار ".

إن تيمور لنك مثال على ملوك الشيعة الرافضة الذين يهدمون الإسلام هدما ويحاربون المسلمين حربا باسم الطائفة؛ لذا يكثر فيهم موالاة الكفار الصرحاء كالنصيرية، ولم يكن من الغريب أن يكون الشيعة الرافضة أول قوة خارجية منظمة تدخل لمساندة النظام النصيري المجرم في سوريا ضد أهل السنة؛ فعداء الشيعة الرافضة لأهل السنة عداء تاريخي طويل،

ومن تأمل تاريخ دولة البويهيين والصفويين علم بعض ذلك.

وليس بمستغرب أن أكثر محن الأمة ومعاركها جاءت من قبل قتال الرافضة لأهل السنة فكانت نكايتهم في المسلمين عبر التاريخ كنكاية النصارى بالمسلمين أو أشد، بل إن وصل الصليبيون والمجوس لحريم المسلمين فبفعل خيانتهم كما دخل هولاكو بغداد بخيانة الطوسي وابن العلقمي الرافضيين، وكما دخل الأمريكان أفغانستان والعراق بخيانة رافضة إيران والعراق.

والشيعة الرافضة هم الأصل الذي تفرعت عنه الطوائف والحركات والدول الباطنية الملحدة عبر التاريخ كدولة القرامطة ودولة الفاطميين العبيديين، والنصيرية والدروز والقاديانية، فهناك رابطة تشدهم لبعض وتجمعهم ضد أهل السنة، وهم تاريخيا بعضهم أولياء بعض..

لذا فعل الرافضة بسوريا الأفاعيل وسيفعلون المزيد – لا قدر الله — إن لم يطردهم المجاهدون من سوريا، وما قصة الضغط الأمريكي واليهودي لإخراجهم من سوريا إلا ألعاب سخيفة لتخدير أهل السنة، فهم لم يدخلوا الشام إلا ليستقروا فيها، ولكن هيهات هيهات، فما لم يدركوه في أكثر من ألف عام لن يدركوه في هذه السنين العابرة بإذن الله.

ليالي حلب ١٢
الأهداف الروسية في سوريا

في ٣٠ سبتمبر ٢٠١٥ أي بعد ستة أشهر من تحرير إدلب جاء التدخل الروسي المباشر في سوريا إلى جانب النظام النصيري؛ ليدل على هزيمة حلف النصيرية والشبيحة والرافضة، واضطرارهم لإدخال قوة جديدة في ساحة المعركة ضد الشعب السوري ومن ناصره من المجاهدين..

وقد كان هذا التدخل المباشر مثار استغراب وتحول في مسيرة المعركة على أرض سوريا؛ فما هو تاريخ روسيا هذه؟ وما علاقتها بسوريا لتتدخل في المعركة؟

إن روسيا حضاريا هي دولة وليدة، ليس لها ماض موغل في القدم كالأمم العريقة في مصر والشام والعراق وأوربا والصين، فبداياتها البسيطة تظهر في القرن التاسع الميلادي، وأصلها مركب من أعراق عديدة وافدة لتلك المناطق؛ ولذا فهي متقلبة لا مبادئ عندها ولا قيم لديها...

والظاهر أن روسيا تاريخيا دولة لا دينية تستغل الدين أحيانا للتغطية على أطماعها، فهي قديما استغلت انهيار مركز النصرانية في القسطنطينية على يد الخلافة العثمانية وصورت نفسها على أنها وريثة القسطنطينية وتتولى مهمة نشر الأرثوذكسية؛ ليتسنى لها مواجهة الخلافة العثمانية وإسباغ الشرعية الدينية لقتالها عند نصارى أوربا، وارتكبوا في تلك الفترة كثيرا من المذابح ضد المسلمين في حروبهم مع الخلافة العثمانية، ومن ذلك ما فعلوه سنة ١٧٧١ عندما قتلوا من مسلمي القرم ٣٥٠ ألف شخص.

ثم بعد فترة من الزمن خلعت روسيا الديانة النصرانية وداستها وأظهرت الإلحاد الشيوعي والثقافة الاشتراكية، واستغلت انهيار ألمانيا في الحرب العالمية الثانية والدمار الذي لحق

فرنسا وبريطانيا لتظهر كقطب عالمي في الأحداث..

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي والفشل الذريع للإلحاد الشيوعي اضطرت روسيا لإعادة التظاهر بالانتماء للنصرانية الأرثوذكسية لتحقيق مكاسبها في عالم اليوم، ومن ذلك أنها عندما أرسلت قواتها لسوريا ظهر بطريرك الأرثوذكس الروسي وهو يبارك أول فوج من القوات الروسية المتوجهة إلى سوريا!

وفي تلك الفترة من القرن العشرين كان تاريخ روسيا المعاصر يقوم على الوحشية الغبية في التعامل مع المواقف، تلك الوحشية التي أدت إلى قتل وتهجير ملايين المسلمين لتمكين حكمها في الدول الإسلامية المحيطة بها والتي سقطت في أيديهم زمن ضعف المسلمين مثل؛ أذربيجان وأوزباكستان وطاجيكستان وتركمانستان وكازاخستان وداغستان والشيشان والقرم وغير ذلك، وظل الروس يعملون جاهدين بالحديد والنار على حرب الإسلام فيها، ولكنهم فوجؤوا عندما انهار الاتحاد السوفيتي بظهور الإسلام مرة أخرى وعودته للحياة بقوة في تلك المناطق.

وعندما دخلت روسيا في مواجهة حقيقية مع دولة واحدة من دول العالم الإسلامي وهي أفغانستان أواخر القرن العشرين اكتشفت غرورها وزيف قدراتها فانهار على صخرة الجهاد الأفغاني الاتحاد السوفيتي الكبير.

فروسيا التي كانت أيام الاتحاد السوفيتي أحد قطبي القوة العالمية انهارت مع انهيار الاتحاد السوفيتي وتراجعت قوتها وتأثيرها العالمي ودخلت في دوامة مشاكل إقليمية في محيطها الدولي، وهي تعاني اليوم من مشاكل اقتصادية طويلة المدى، وضعفت قواها كثيرا؛ فقد تجرعت المرار في مواجهتها لقوة صغيرة من المجاهدين في الشيشان عام ٢٠٠٠م ولم تستطع إلى الآن بعد عشرين عاما من الحرب الشيشانية السيطرة التامة على الأمور في تلك البقعة الصغيرة.

إن تدخل روسيا بسوريا اليوم في مواجهة عسكرية مباشرة مع المجاهدين في أرض بعيدة عنها لا رابط ديني ولا عرقي ولا جغرافي يربطها بها، سوى تحالف ضعيف كان قائما بين الاتحاد السوفيتي السابق ونظام حافظ الأسد الهش، هو في الحقيقة محاولة منها للظهور السريع في مسرح الأحداث العالمية في ظل تراجع القوة الأمريكية بعد احتلالها أفغانستان والعراق، فالشرق الأوسط هو مركز العالم والممر الدولي الأكثر أهمية في حضارة اليوم.

ولكن هل تقدر روسيا على تحمل تبعات هذا التدخل الإجرامي؟!

وهل تستطيع روسيا أن تدخل في مواجهة طويلة المدى مع الشعب السوري؟!

وهل يمكن لروسيا أن تتحمل الأعباء العسكرية والاقتصادية والاجتماعية لهذا الاحتلال طويل المدى؟!

وهل تضمن روسيا عدم قيام المسلمين داخل روسيا بردة فعل داخلية إزاء جرائمها في سوريا تخسر به أضعاف أضعاف ما تتمنى تحقيقه؟!

الذي يظهر أن الدب الروسي الغبي لم يتعلم من التاريخ ودخل في مقامرة خاسرة؛ لذا تضطرب تصرفاته وتتعدد تحالفاته وتكثر جرائمه؛ في محاولة لحسم المعركة في أسرع وقت قبل أن تتضاعف تكاليف تدخله الإجرامي السافر.

إن هذا الدب الروسي البارد لا يفهم إلا لغة القوة، ولا بد لتغيير المعادلة من توجيه صفعات متتالية له تجعله يفيق من سكرة القوة المزعومة له ونشوة النصر المكذوب.

ليالي حلب ١٣
الشام أرض الأهوال

بلاد الشام هي بلاد الأهوال عبر التاريخ، ولعل سبب ذلك أمران:

الأمر الأول: أن الشام هي الأرض التي بارك الله جل وعلا فيها للعالمين، قال تعالى: "ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين"، وهي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، وبها يهلك الله الدجال، ومن بركتها أنها بلاد أكثر الأنبياء عليهم السلام، ومنها انتقل دين الأنبياء إلى أصقاع الأرض فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية، وهي كذلك بلاد كثر خصبها ونما نباتها وعذب ماؤها..

الأمر الثاني: بما أن الشام أرض البركة أصبحت كذلك مطمع جميع الأمم عبر التاريخ فوقعت بها الملاحم العظام، وقيل للملحمة ملحمة لكثرة لحوم القتلى بها، وقد عملت السيوف عبر التاريخ عملها في أهل الشام، وتصارعت عليها مختلف أمم الأرض؛ فكم من مرة حرق وهدم ودمر أغلب ديارها وشرد أهلها..، وقلما تقوم دولة بالمشرق كالعراق أو المغرب كمصر أو بالشمال كتركيا إلا وترسل الجيوش لضم الشام وتبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

ونتج عن هاتين المقدمتين أن الشام كانت في كثير من مراحل التاريخ المحطة النهائية للصراع بين الحق والباطل؛ فعلى ثراها الطاهر تنكسر المؤامرات وتنهار قوى الشر العالمية؛ فكان لقوى الحق فيها أكبر الأثر في صد عادية الروم وكسر الحملات الصليبية وإيقاف الاجتياح المغولي والقضاء على الدولة العبيدية الفاطمية وكسر حملة نابليون الفرنسية، وهي اليوم رأس الحربة في مواجهة الصهيونية العالمية والباطنية الخبيثة والعلمانية الكفرية والثورات المضادة، وهي كذلك في آخر الدنيا أرض الملحمة التي ينكسر فيها أهل الصليب

ويستشهد ثلث جيش المسلمين.

ولن أكرر هنا ما هو معروف عند كثير من الباحثين عن النكبات التاريخية الشهيرة التي وقعت على أهل الشام؛ كما في عهد بختنصر والحملات الصليبية وهولاكو وتيمور لنك وما شابه تلك الوقائع التي كانت تعني القتل العام والسبي والدمار الشامل..

بل سأذكر مثالا مما تكرر كثيرا جدا في تاريخها في كل العصور من قتال وصراع لا يكاد يتوقف داخل مدنها، سواء على عهد الأمويين أو العباسيين أو الطولونيين أو الإخشيديين أو الحمدانيين أو الفاطميين أو المرداسيين أو السلاجقة أو الأرتقيين أو الزنكيين أو الأيوبيين أو المماليك أو الجراكسة أو العثمانيين.

ففي نهاية الدولة الأموية وقع الخلاف بين بني أمية بعضهم البعض، "فقدم مروان بن محمد خالعا ليزيد بن الوليد فأتى حمص، وبلغ إبراهيم الخبر فوجه إليه سليمان بن هشام، فالتقوا بعين الجر، وقد قتل في وقائع عين جر وما تقدمها وتأخر عنها ثمانية عشر ألف مقاتل، ولما ملك مروان بن محمد كتب إلى عمال البلدان فأتته كتبهم بالسمع والطاعة، ولم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى أتاه الخبر أن أهل حمص مقيمون على المعصية، فسار إليهم فحاصرهم حتى فتح المدينة، وقاتل الثائرين وقتل خمسمائة أو ستمائة صلبوا حول مدينة حمص، وثار أهل الغوطة فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر فاستباح أهل مروان عسكرهم وأحرقوا المزة وقرى، ثم ثار سليمان بن هشام في أهل حمص وقنسرين وخرجوا قاصدين مروان فالتقى العسكران وقتل منهما خلق كثير فانهزم سليمان إلى حمص، فجاء مروان إليها وحاصرها عشرة أشهر ثم صالحها، وكان سليمان بن هشام في سبعين ألفا وقتل زهاء ثلاثين ألفا"!!.

وبعد سنين قليلة خرج العباسيون على الأمويين وجاؤوا من خراسان والعراق حتى دخلوا الشام، فقال المؤرخون: "إن العباسيين قتلوا من الشاميين ما لا يحصى"!!.

ومما يستأنس به في هذا المقام ما يحكى أن: "المال قال: إني لاحق بالشام، فقالت الفتن: وأنا معك"، وقيل: "إن القتل قال: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة: وأنا معك"، وبالتأكيد فهذه العبارات إنما ذكرها مؤلفو كتب البلدان كاستقراء لتاريخ الشام..

ولعل مما جعل تاريخ الشام أكثر دموية ما قاله بعض المؤرخين الشاميين من أن: "الملك في الشام لا يثبت، لعدم الثبات المغروس في فطرة أهله، ولتلون الطبائع فيه تلون أقاليمه وسمائه وهوائه.. وجبالها أكثر من سهولها على الأكثر، وتصلح للدفاع والهزيمة والاستمرار على المشاكسة لصاحب القوة".

يضاف إلى ذلك أن "الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة" كما ذكر ابن خلدون، والأصل في الشام قديما أنه "كان بها ما لا يحصى كثرة وتنوعا في العصبية"..

الشاهد من كل ما سبق أن قدر الشام أن تكون أرض الملاحم وأرض مطامع الأمم كلها سواء من ذكرناهم في مقالات سابقة أو لم نذكرهم؛ كاليهود والأمريكان والأتراك والفرنسيين وغيرهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ليالي حلب ١٤
فضل حلب وبداية الثورة فيها

لم أكن قديما أتصور ماذا تعني حلب، ولا أعرف الفرق بين حلب وحماة وحمص ودرعا وغيرها من مدن سوريا، فكلها مدن شامية، إلى أن اختار الله تعالى لي أن أكون من سكان حلب، وعندها علمت ماذا تعني حلب..

حلب الشهباء والشهداء من أقدم مدن العالم إن لم تكن أقدمها، وأكبر مدن الشام، وعقر دار المجاهدين عبر التاريخ، وفضائل الشام هي بعض فضائل حلب؛ فحلب من خيرة أرض الله المباركة المقدسة، بل وذكر بعض العلماء أن حلب هي المدينة التي يخرج منها آخر الزمان جيش الأخيار الذين يهزمون الروم، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ"، قال ابن العديم: "والمدينة المذكورة التي يخرج منها الجيش هي حلب؛ لأنها أقرب المدن إلى دابق، وفي تلك الناحية إنما ينطلق اسم المدينة على حلب عند الإطلاق لا على يثرب، كما في قوله تعالى: (وجاء رجل من أقصى المدينة)، وفي قوله تعالى: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة)".

وقيل لحلب الشهباء أي البيضاء لبياض تربة حجارتها الحوار، وكان الحلبيون –ولا يزالون– يبنون بيوتهم بالحُوَّار الأبيض المأخوذ من مُغرها القريبة، فكانت حلب تبدو للمقبل عليها بيضاء...

وقد وصف المؤرخون حلب بأنك إذا نظرت إليها وأنت مقبل عليها من أي جهة تراءت لك عروسا من عرائس البلدان، قد حفتها البساتين من غربيها وشماليّها، وكروم العنب وبساتين التين والفستق والزيتون من بقية جهاتها، وقام في وسطها قلعتها المشهورة كملك عظيم حفت به الجواري الحسان التي هي منارات المدينة البديعة المنظر.

ولكن لعل الأصدق أن تسمى حلب الشهباء والحمراء؛ فتاريخ حلب شهداء ودماء حمراء وسلسلة ملاحم يشيب لذكرها الولدان؛ فكم مرة حرقت وهدمت ودمرت وشرد أهلها؛ بالحروب والزلازل والمجاعات، ومع ذلك بقيت حلب بفضل الله عبر القرون قلعة أهل السنة.

وحلب تاريخيا هي "واسطة عقد الشام"، و"أم البلاد"، والخط الواصل بين المشرق والمغرب والشمال والجنوب؛ لذا كانت مركزا حضاريا لعامة الحضارات ومحطا لأطماع سائر الأمم..

وكثيرة هي كتب تاريخ حلب التي تذكر أحداث حلب وأيامها؛ بل وعدد بيوتها وأبوابها وصفة مائها وهوائها وترابها بل ووصف خراباتها!، وما ذاك إلا لأنها من أعظم مدن العالم كله وأهمها.

وإذا كان الأصل في الأمم أنه "ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم"، وأن "البلدان عُمِّرت بحب الأوطان" فحق لأهل حلب أن يفتخروا بها أيما افتخار.

أما حلب في الثورة فلها ثأر قديم مع النظام النصيري كانت من أواخر فصوله أحداث الثمانينيات التي قُتل فيها النصيرية من أهالي حلب وسجنوا وشردوا الكثير والكثير.

وقد بدأت الثورة في حلب في الشهر الثالث من سنة ٢٠١١ بخروج المظاهرات بالمساجد تندد بظلم النظام النصيري وتطالب بإسقاطه وامتدت المظاهرات من المساجد لتشمل النقابات والكليات وتشكلت التنسيقيات الثورية، فقام النظام القاتل بقمع المظاهرات وقتل المتظاهرين، فبدأت عمليات المواجهة مع الأمن، التي توجت في عام ٢٠١٢ بتحرير أجزاء واسعة من حلب..

وصحيح أن المظاهرات بداية الثورة في حلب لم تكن بمستوى المظاهرات في عدد من المناطق كإدلب وحماة واللاذقية وغيرها، ولكن هذا يعود لأمور من أهمها:

– أن القبضة الأمنية في حلب أشد من غيرها وانتشار الأمن والشبيحة أكثر من بقية المدن.

– أن حلب في مجملها مدينة صناعية ينشغل أهلها بأعمالهم أكثر من غيرهم.

– أنه كانت لمشايخ التصوف بحلب شعبية واسعة وأغلب هؤلاء لهم طرق بدعية في التربية فلذا لم يكونوا مع الثورة، قال ابن خلدون عن التربية البدعية: "الذين يعانون الأحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه، وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والأخذ عن المشايخ والأئمة الممارسين للتعليم والتأديب في مجالس الوقار والهيبة".

– أن الثورة تقوى بأبناء الريف أكثر من أبناء المدن فهم بسبب طبعهم أقدر على منابذة الطغاة، قال ابن خلدون: "أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم..، وأهل البدو لتفرّدهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية.. قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم..، قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ"..، وريف عامة مدن سوريا أكثر سكانا من مدنها فتأثرت تلك المدن بأريافها، أما حلب فالثقل السكاني والحركي بها، فضعف تأثير الريف على المدينة مقارنة ببقية المدن، إلى أن جاء وقت تحرير حلب.

ليالي حلب ١٥
الشبيحة في حلب

من أهم الأمور التي تسببت في تأخر انتشار الحراك الثوري في حلب مقارنة بكثير من المدن الأخرى انتشار ظاهرة التشبيح داخل مدينة حلب؛ حيث كان للشبيحة في حلب تجمعات وتكتلات وانتشار كبير أكبر من كثير من الأماكن الأخرى..

بل وأذكر أنني أول قدومي لسوريا وقبيل وصولي لحلب المحررة كان بعض المجاهدين يشرحون لي وضع حلب وكيف أن أعداد الشبيحة في حلب بلغ عشرات الآلاف..

ولعل من أهم أسباب انتشار تلك الظاهرة في حلب أن حلب أكبر مدن سوريا كثافة سكانية؛ فمن الطبيعي أنه عندما يتم جمع الأراذل -ولا يخلو مجتمع من أراذل- يكون عددهم متناسبا مع عدد المدينة؛ فكلما زاد عدد السكان زاد تلقائيا عدد الأراذل؛ ومساحة المدن بشكل عام صغيرة فيظهر ويبرز الشبيحة في المدن أكثر من غيرها.

يضاف إلى ذلك أن النظام النصيري استخدم المساجين والمجرمين في التشبيح فضخ لحلب نسبة كبيرة من هؤلاء المجرمين الذين أفرج عنهم شريطة أن يقمعوا معه الشعب.

بل واستجلب النظام النصيري أعدادا من شبيحة الساحل النصيرية وضخهم في حلب؛ لأنها العاصمة الاقتصادية لسوريا وخزان أهل السنة.

ومن أسباب انتشار التشبيح كذلك أن النظام النصيري استخدم زعماء من بعض البيوت الحلبية التي لها ترابط عشائري وسلطهم على الأحياء القريبة منهم وأمدهم بالمال والسلاح والجاه؛ فانساقوا وراء وهم الزعامة الملغومة.

ولعل من الأسباب المهمة كذلك أن جهاد النصيرية المرتدين –وهم قوم ينطقون أمام الناس بالشهادتين– أصعب فهما على كثير من الناس من جهاد اليهود والنصارى، فجهاد العدو الواضح الذي نشأ الأطفال على عداوته من الصليبيين والصهاينة أيسر وأقوى وأدوم من جهاد المرتدين الذين تخفى كثير من شؤونهم على جل الناس حتى وإن كان المرتدون أكثر حربا على الإسلام وأشد فتكا بالمسلمين..، وهذا السبب يجعل استجابة عامة المسلمين لجهاد المرتدين أضعف من استجابتهم لقتال الكفار الأصليين، ويجعل الانزلاق في عمالة المرتدين أيسر من الانزلاق في عمالة الكفار الأصليين..

وهذا السبب يفسر كذلك بعض ظاهرة الضفدعة والتسويات التي قام بها البعض مع النصيرية؛ فإذا انقلب ميزان القوى سهل على قلوب الجهلة تسويق المصالحة مع المرتد.

وهذه نقطة مهمة في فهم طبيعة الجهاد مع النصيرية التي تختلف عن الجهاد الأفغاني والعراقي ضد نصارى الأمريكان والجهاد الفلسطيني ضد يهود إسرائيل؛ فجهاد الكافر الأصلي المحتل قد يجد حاضنة شعبية مستمرة وإن قل الالتزام الديني..

أما جهاد المرتدين النصيرية فيقوم على دعامتين؛ هما ظلمه لعموم الشعب، وكفره بالله رب العالمين..

فأما الظلم الذي وقع من النصيرية لعموم الشعب فقد تدخل لكثير من النفوس شبه شيطانية تجعلها تقارن بين الظلم الذي كان يقوم به النصيرية قبل الثورة والظلم الذي قام به النصيرية بعد الثورة؛ فيظنون أن الثورة لو توقفت فسيقل ظلم النصيرية ليعود إلى مستواه قبل الثورة وهو مستوى في حساباتهم الدنيوية أهون مما لحق بهم من ظلم النصيرية عندما ثاروا عليه..

أما كفر النصيرية برب العالمين فلا يفهمه حق فهمه ويوقن بكفرهم يقينا جازما في

الغالب إلا أصحاب الالتزام الديني الحقيقي، وهم بطبيعة الحال أقل من غيرهم...

لذا فإن ما وقع في بعض مراحل الجهاد الشامي من محاولة البعض لنزع الصبغة الدينية للثورة وجعلها ثورة وطنية من أجل تحصيل بعض الحريات هو في الحقيقة انتحار تسبب في جل هزائم الثورة السورية في الأعوام الماضية؛ حيث وجه هؤلاء الواهمون همهم لجمع الأعداد وزيادة أرقام المنتسبين لفصائلهم بلا التفات لأدلجة الصراع، فتفلتوا عندما اشتدت الحرب وتفلتت أعدادهم التي اجتمعت على حرب بشار الظالم وليس على حرب النصيرية الكفار.

وبالعموم فإن ظاهرة الشبيحة كانت من أوائل الظواهر التي أضرت بالثورة، ولكن الشبيحة كذلك كانوا أول القوى التي انهارت في مواجهة المجاهدين، فلم يكن عند هؤلاء الشبيحة المجرمين وازع قوي لتقديم أرواحهم في سبيل أسيادهم؛ ففروا عند اللقاء وانهزموا سريعا، بل وانقلبوا على أسيادهم عندما انقلبت الحال في كثير من الأماكن، وكانوا في العموم سلعة تقف مع الأقوى ويشتريها صاحب النفوذ؛ فأصبح هناك شبيحة للنصيرية، وشبيحة للإيرانيين، وشبيحة للروس، وشبيحة للأمريكان، وشبيحة للأتراك، وشبيحة للملاحدة، وشبيحة تعمل لحسابها في الخطف والسلب..، وغير ذلك من أنواع الشبيحة.

ليالي حلب ١٦
مراحل تحرير حلب

في منتصف عام ٢٠١٢ م كانت بدايات العمل على تحرير مدينة حلب الحبيبة، وكنت وقتها أتابع ككثيرين غيري الأحداث، ولكن بعد أن عشت بحلب تبينت لي تفاصيل عن معركة تحريرها، فقد تم تحرير حلب عبر خطوات من أهمها:

١- حماية مظاهرات حلب بالسلاح، فبعد أن كان الأمن والشبيحة يعتدون على المظاهرات ضربا واعتقالا بدأ بعض الثوار يحمون المظاهرات في بعض الأحياء بالسلاح؛ ففوجئ الأمن والشبيحة بذلك وعلموا أن التعرض لتلك المظاهرات يعني مواجهة قد تودي بالحياة، فبدأت المظاهرات تنتشر نوعا ما وضعفت سيطرة الأمن على عدد من أحياء مدينة حلب، بل وصل الأمر إلى عقد اتفاقيات في بعض الأحياء كبستان القصر أنه لا بأس بخروج المظاهرة بشرط ألا تقترب من مبنى شرطة الحي..

٢- تحررت كثير من قرى ريف حلب الشرقي والغربي والشمالي وانتشرت الروح الثورية فيها كالباب وعندان وتل رفعت، وبذلك أصبحت كثير من أطراف حلب بابا لدخول حلب.

٣- تزايدت وتيرة الانشقاق عن قوى الأمن والشرطة والجيش؛ حيث كان زخم الثورة في ازدياد، وبدأ جنود النظام النصيري يشعرون أن حماية هذا النظام المجرم قد تكلفهم حياتهم، ورأوا تزايد جرائم قوى الأمن، وتيسر الانشقاق في تلك الفترة، فانشقت أعداد كبيرة، وهذا مما جعل تحرير حلب محل أمل قريب لكثير من المجاهدين.

٤- تطورت المظاهر المسلحة للثوار التي تحمي المظاهرات حتى خرجت بعض الأحياء عن سيطرة الأمن مما سهل إعلان تحريرها؛ فبدأ تحرير حلب من الداخل، وكانت

صلاح الدين وبستان القصر وبعض أحياء حلب القديمة أول أماكن تحرر من داخل حلب بلا خط إمداد لها من الريف الحلبي.

٥- ثم كان دخول الثوار والمجاهدين بأعداد كبيرة من الريف إلى داخل مدينة حلب فتحررت كثير من أطراف حلب الشرقية وصولا إلى الأحياء المحررة المحاصرة داخل حلب كصلاح الدين..

٦- وقد وقع النظام النصيري في مأزق كبير أمام هذا التقدم داخل حلب فاستقدم تعزيزات كبيرة وخاض حرب شوارع داخل بعض الأحياء وكثف قصفه المدفعي وبالدبابات لأطراف الأحياء المحررة، فلم يغن ذلك عنه شيئا.

٧- ظل هناك تداخل بين مناطق الثوار ومناطق سيطرة النظام النصيري داخل مدينة حلب عدة شهور إلى أن استقر الوضع على سيطرة المجاهدين على غالب الأحياء الشرقية وسيطرة النظام النصيري على غالب الأحياء الغربية والثكنات العسكرية، وتم وضع رباط عسكري بين الطرفين.

ولقد كان تحرير حلب الشرقية منسجما مع أغلب وقائع الاستيلاء على حلب عبر التاريخ؛ فدخول حلب تاريخيا يرتبط في جل الوقائع بأمرين:

الأول: حصار حلب أو كثير من أجزائها.

والثاني: تجمع القوى المهاجمة لحلب وضعف خط إمداد القوى المدافعة.

والغالب أن نتيجة معركة حلب تكون محسومة لمعركة كبيرة قبلها في أحد أرياف حلب يوقن المهزوم فيها أن حلب قد ضاعت منه.

وبذا يمكن فهم العبارة العجيبة التي قالها مؤرخ حلب كامل الغزي في كتابه نهر الذهب

في تاريخ حلب: "ومن الصدف الغريبة أن استيلاء الدولة العثمانية على حلب شبيه باستيلاء الدولة العربية عليها من جهة أن كلتا الدولتين أخذتها صفوا عفوا دون حرب ولا ضرب"، فسقوط حلب في يد الدولة العثمانية كان بعد هزيمة المماليك في مرج دابق، وسقوط حلب في يد الاحتلال الإنجليزي العربي كان بعد هزيمة العثمانيين في دمشق ودرعا..

وبذلك يمكن أن نتأمل كثيرا من العبارات التاريخية مثل:

"فتحت حلب في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥ من الهجرة النبوية..، وكان فتحها صلحا وفتح قلعتها عنوة".

"وفي سنة ٢٥١.. بويع المعتز بالله، وامتنع عليه أهل حلب وأقاموا على الوفاء للمستعين، فحاصرهم أحمد المولد فلم يجيبوا ثم أجابوا وبايعوا للمعتز".

"ملك الحاضر وحاصر المدينة فقاتله أهلها من ثلمة من السور ثلمها الروم، فقُتل من الروم خلق كثير، وفي الليل عمر الحلبيون هذه الثلمة فتأخر الروم إلى جبل الجوشن، ثم إن رجال الشرطة قصدوا منازل التجار لينهبوها فلحق الناس أموالهم ليمنعوها وخلا السور منهم، فاغتنم الروم الفرصة وتسوروا ونزلوا وفتحوا الأبواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا".

"وفي سنة ٣٥٩ ملك الروم أنطاكية بالسيف..، وقصدوا حلب فتحصن قرعويه بالقلعة وملكوا المدينة..، ثم حصروا القلعة فخرج إليهم جماعة من الحلبيين وتوسطوا الصلح واستقر الأمر على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه إلى الروم".

" فحاصر تتش حلب وملكها".

"ونازل حلب وبقي محاصرها إلى تمام السنة، ثم طلبوا منه الصلح فأجاب".

"سار هولاكو وأحاط بحلب.. وهجموا من عند حمّام حمدان في ذيل قلعة الشريف في يوم الأحد تاسع صفر وبذلوا السيف في المسلمين".

ليالي حلب ١٧
وجود لصوص الثورة في حلب

بعد وصولي لبلاد الشام في آخر ٢٠١٢ أي بعد تحرير حلب الشرقية بشهور قليلة، وقبل دخولي حلب الشهباء كنت ألتقي بعض المجاهدين العائدين من حلب فينقلون بعض ما يحدث فيها، ومن أغرب ما سمعته وقتها خروج مظاهرة في حلب ضد الجيش الحر تندد بأفعالهم، ومما ردده المتظاهرون فيها: "ما بدنا الجيش الحرامي بدنا الجيش الإسلامي"..

وكانت هذه المظاهرة انعكاسا لأزمة حقيقية عانت منها حلب طول فترة التحرير، وهي أن الحرب التي دارت في حلب لم يلتزم الثوار فيها بجعلها حربا بين شعب مظلوم وطاغية ظالم بل شابتها أنواع من الصراع المجتمعي الظالمة..

فالنظرة العامة التي كانت منتشرة في كثير من الأرياف مرتبطة بصورة جزئية موجودة في كثير من الأذهان، وهي أن درعا وحمص وكثير من القرى كانت تقصف وتهدم أما حلب فيخرج أهلها إلى "دوار الصنم" [دوار الصنم تسمية حلبية لميدان فيه تمثال لفرس على ظهره تمثال لباسل الأسد شقيق بشار الأسد] يشوون اللحوم ويأكلون ويشربون بلا مبالاة بما يحدث في بقية أنحاء البلاد، فنتج عن ذلك وجود بعض الحقد المجتمعي من طبقات سفلى في المجتمع الريفي ضد أبناء مدينة حلب.

ويضاف إلى ذلك أن رواد تحرير حلب القادمين من الريف كانت لهم صلات بأبناء قراهم الساكنين في حلب، وجل هؤلاء يسكنون الأحياء الفقيرة في حلب لا الغنية، فوجد كذلك صراع طبقي بين بعض الثوار الفقراء وطبقة الأغنياء بحلب.

نتج عن هذا وذاك أن وقعت مظالم عديدة من الثوار اللصوص على كثير من الحلبيين،

فكان اللصوص يسرقون وينهبون ويخطفون ويتهمون الناس خاصة أغنياءهم بأنهم شبيحة ليبرروا جرائمهم، فأدى ذلك إلى نفور الكثيرين من أفعال هؤلاء الثوار.

وكأن لسان حال المظلومين من أهالي حلب:

قَليلٌ مِنَ الخلانِ مَنْ لا تَذُمُّه..

وَكُثْرٌ مِنَ الأعداءِ مَن أنتَ هَمُّهُ

وقد أدى ذلك أيضا إلى أن الطبقة التي أقبلت على الالتحاق بالثوار من حلب كثر فيها المنتفعون والفقراء والجهال، وقل فيها أبناء الطبقة المتوسطة في حلب، وندر إقبال الطبقة الغنية والأكاديمية، فمن كل ألف من الثوار بحلب لا تجد خريجي جامعات إلا عددا لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، وربما كان أكثرهم من خارج حلب، أما طلاب الجامعة والحاصلون على الشهادة الثانوية فلا يتعدون العشرين والثلاثين على أكثر تقدير.

وأذكر أنني أول قدومي لحلب وأثناء زيارة دعوية لجبهة صلاح الدين، وقف أمامي شخص منفعلا منكرا ما تتهمه به الهيئة الشرعية من فساد، وعرَّف عن نفسه أمامي أنه: الدكتور محمود المجدمي، الحاصل على دكتوراه في الشريعة من الأزهر، وقال لي: يلومونني لأنني شققت شبيحة وجعلتهم مجاهدين، انظر لوجوههم النيرة!، فنظرت حولي فرأيت أشخاصا، نعم لهم لحى، ولكن وقع في قلبي أن الطبع العام لهم أن الوجوه مظلمة لا نيرة!، المهم بعد شهور قليلة قبضت عليه الهيئة الشرعية وتبين أنه لا علاقة له بالعلم الشرعي بل تم إعدامه بتهمة التشبيح والعمالة للنظام النصيري!

ومما أزم الوضع أكثر أن تحرير نصف مدينة حلب فقط وبقاء نصفها الآخر تحت يد الاحتلال النصيري جعل المدينة تحتاج إلى مئات نقاط الرباط التي كانت تعادل قريبا من نصف رباط الشمال السوري كله؛ فكانت حلب أصغر رقعة في سوريا فيها أكبر معدل رباط، فعملت الكتائب والفصائل على جمع أكبر عدد بأي طريقة كانت وبلا شروط ولا

معايير؛ لسد حاجة الرباط، فكثرت بذلك النوعية السيئة من الثوار في حلب.

صحيح أنه جرت محاولات عديدة لضبط الأمور وإيقاف الانفلات الكبير الذي وقع أول أيام تحرير حلب الشرقية؛ فتم إنشاء محكمة للأحرار في الأنصاري الشرقي، ثم الهيئة الشرعية في مشفى العيون، والقضاء الموحد، ثم تعددت المحاكم في المراحل التي مرت بها حلب المحررة.

وكذلك حاول كثير من القادة مثل عبد القادر الصالح رحمه الله ضبط الأمور في لواء التوحيد -أكبر مكونات الجيش الحر في حلب-، ولكن بقي الانطباع العام أن ثوار حلب أقل انضباطا من غيرهم من الثوار، وطالما لم يبن الأساس بناء صحيحا من البداية فكل محاولات الترميم لا تستطيع القضاء على خلل الأساس.

ليالي حلب ١٨
قدومي لحلب

في الشهر الأول من عام ٢٠١٣م مر علي أخي العزيز الشيخ أبو معاذ المصري همام عبد الفتاح نور الله ثراه؛ ليأخذني إلى حلب، حيث كان ينوي زيارة حلب، وكذلك كان الشيخ أبو خالد السوري رحمه الله –أمير أحرار الشام بحلب– طلب مني الذهاب إلى حلب حيث أخبرني أن هناك ثلاث معارك كبرى تنتظر المجاهدين في حلب وريفها ويحتاجون إلى دعاة بين المجاهدين وهي معارك مطار النيرب ومستودعات خان طومان ومطار كويرس، وانطلقنا من عقربات إلى الدانا ثم دارة عزة، وهناك من جوار قلعة سمعان كان طريقنا من قرى ريف عفرين إلى ريف حلب الشمالي ثم مدرسة المشاة ثم حي هنانو وحي الصاخور بحلب..

عندما مررنا بقرى ريف عفرين ذكر لي الشيخ أبو معاذ رحمه الله أن هذه القرى تضع قوات ال ب ك ك حواجز في أولها وآخرها، ولكنها لا تعترض سير المجاهدين، ويمر منها المجاهدون ولكنهم لا يستطيعون فتح مقرات في تلك القرى.

فكانت العلاقة في ريف حلب وداخل حلب في حي الشيخ مقصود بين الثوار والمجاهدين في تلك المرحلة من جهة وحزب ال ب ك ك الملحد علاقة أشبه بهدنة بين الطرفين، واستمرت على تلك الحال قرابة السنة، ثم وقع الصدام المتوقع بين الطرفين، وكان يمكن استغلال فترة الهدنة تلك في إقامة مشروع سني يتغلغل بين الأكراد في تلك المناطق، ولكن تلك المرحلة كانت تتسم بشكل عام بالارتجالية وقصر النظر، فضاعت تلك الفرصة، بل وضاعت بسبب ضياع تلك الفرصة كثير من قرى ريف حلب الشمالي كتل رفعت، ثم كان إهمال ملف تلك المناطق سببا كذلك في ضياع حلب فيما بعد؛ حيث كانت منطقة الشيخ مقصود خنجرا ساعد في قطع طريق الكاستيلو –الطريق الوحيد المتبقي لحلب المحررة.

وصلنا إلى حلب وكان عند دوار الصاخور بقايا مدرعات محروقة تدل الناظر لها على آثار معركة دارت في تلك المنطقة لتحريرها..

وفي قاضي عسكر بدت لنا آثار قصف نزل على قبة مسجد فاخترقها وفتح فيها دائرة كبيرة، فأشار لها أبو معاذ رحمه الله، وقال لي: انظر إلى جرائم العدو، نظرت لهذا الفعل الإجرامي الذي تعدى فيه الكفار على بيت الله تعالى، ولكن بعد أن جلست بحلب وعاينت أحياءها رأيت أن أكثر الدمار وقتها كان قد وقع في حي صلاح الدين حيث دارت اشتباكات عنيفة لمدد طويلة، وكان هذا القصف والدمار بتلك المرحلة أقل كثيرا ولا يقارن بما لحق حلب فيما بعد بسبب قصف وتدمير الطيران النصيري والروسي..

ثم أكملنا المسير إلى حي السكري وهو حي يعرف بتمركز أحرار الشام بحلب فيه، وكان أبو معاذ رحمه الله فرحا بكثرة الحركة في حلب مقارنة بما كان قد رآه عندما زار حلب في رمضان أول تحريرها؛ حيث نزح أكثر أهلها في رمضان، أما في زيارته الثانية تلك فرأى فرقا كبيرا وعودة الكثيرين لحلب بعد تحريرها، وهذا ليس غريبا على حلب، فمن العجائب قول كامل الغزي في كتابه نهر الذهب في تاريخ حلب: "هذا البلد العظيم الذي هلك من أهله في الطاعون الذي دهمه سنة ١٠٨٠ مائة ألف نسمة، ثم شوهدت أزقّته بعد ثمانية أيام من انقضاء الطاعون غاصة بالناس كما كانت قبلا بحيث لم يظهر فيها هذا النقص العظيم"!!..

ليالي حلب ١٩
حاجة المجتمع للخدمات

أول نزولي لحلب وجدت حاجة ماسة للخدمات في المجتمع؛ فهناك أزمة في الخبز، ونقص في احتياجات المشافي، وتوقف في الكهرباء، وانقطاع في المياه، وتراكم في القمامة، وكثرة في المتسولين..

ووُجِدت بعض الأعمال لتدارك الأمر؛ فكانت هناك خطة لتوزيع الخبز، وتمت مساعدة بعض المشافي، وأنشئت بالهيئة الشرعية مكاتب خدمية، وظهر مجلس محافظة حلب، وتشكلت مجالس للأحياء، وانتشرت الجمعيات والمنظمات.

وتبين لي مع الأيام أن الغرب عن طريق أذرعه العديدة وأبرزها الحكومة المؤقتة العلمانية يسعى جاهدا للتغلغل بين المجتمع وفرض مشروع يهيمن من خلاله على الثورة ومسيرتها.

وكانت نظرة التيار الثوري والإسلامي للعمل المدني المجتمعي وكيفية مواجهة المشروع التغريبي خلال مسيرة الثورة السورية تتمحور حول عدة رؤى؛ أهمها:

أ- التغلغل في منظمات ومؤسسات الغرب وأتباعهم لتخفيف شرها ومحاولة توجيه خدماتها لما فيه بعض المصلحة؛ فمثلا كان للبعض دور في تقليص المهام الخدمية بالهيئة الشرعية بحلب لصالح مجلس محافظة حلب وضخوا فيه عددا من الكوادر، وقد كانت النتيجة العملية لذلك أن تضخم دور العمل المدني التغريبي وانتشر، ولم تكن هناك قدرة على ضبطه ولا توجيهه، وغاية ما استطاعوه هو توجيه بعض الخدمات لصالح شبابهم ومناطق نفوذهم، وقد تلطخت صورتهم المجتمعية بسبب اقتران صورتهم مع تلك المؤسسات الفاسدة مهنيا وخدميا، وأصبحت الصورة الإعلامية المنتشرة عن حلب أن حلب الثورة تضعف فيها سيطرة الجماعات الإسلامية القوية "كالجبهة والأحرار" وينتشر

فيها إعلام الغرب وتعليمه وشرطته ومؤسساته الخدمية والإغاثية..

ب- بسط نفوذ القضاء كسلطة على المناطق المحررة ووضع اليد على المفاصل الكبرى المؤثرة في الحياة المدنية؛ مثل: المعابر ومحطات الكهرباء والصوامع..، ومحاولة ضبط وتقليل شر المؤسسات الغربية بذلك، مع التغلغل اليسير في منظمات ومؤسسات الغرب وأتباعهم لتخفيف شرها ومحاولة توجيه بعض خدماتها لبعض ما فيه المصلحة؛ فكسبوا بذلك وجاهة اجتماعية وتجنبوا تلطخ صورتهم بسبب فساد أو فشل تلك المؤسسات الخدمية، ولكنهم عجزوا حقيقة عن دفع شر تلك المؤسسات واستمرت المؤسسات الغربية لمدة سنين تزرع الفساد والانحراف في المجتمع.

ج- بسط النفوذ وإدارة مناطق بشكل كامل؛ وقد استطاعوا بذلك التحكم بمؤسسات تلك المناطق وتحجيم الانحراف، ولكن لم تكن عندهم رؤية حقيقية فلم يستطيعوا إقامة بناء ثابت ولا مشروع واقعي، وكانت عنايتهم بالجوهر ضعيفة لا تقارن بعنايتهم بالمظهر، وكان تركيزهم على الجباية لا الخدمات، واعتبروا أن كل الحقوق السلطانية هي حق لازم لهم وعلى الفور، أما الواجبات السلطانية التي عليهم فهم فيها بالخيار وعلى التراخي، يضاف إلى ذلك جعل معيار اختيار الشخصيات كمدراء للإدارات المختلفة هو الولاء الشخصي لا الكفاءة أو الشعبية.

وعندما تتصدر المجالس الضعيفة للقيادة تتوهم أنها الأمة أو قادتها أو مشروع إقامتها، ولكنها في النهاية لا تعدو قدرها الحقيقي لا الوهمي وتوضع وجها لوجه أمام تحديات داخلية وخارجية لا قبل لها بها؛ فتضعف الحاضنة الشعبية، وتكسد سوق الأعمال الخدمية، ويصاب المجتمع بفتور عام..، وتجربة حكم فاشلة أقوى تأثيرا من عشرات المؤامرات والمكائد.

* والصواب: أن مسألة الخدمات تحتاج -ككل الولايات- إلى قوة وأمانة، ولا بد أن

يعلم ويرى المجتمع رأي العين أن الثوار المجاهدين هم خدام يعينونهم قدر طاقتهم وليسوا جبابرة متسلطين عليهم، وأنهم أصحاب قضية وبذل لا طلاب مال وجباية؛ فدفع شبهة الطمع بدنيا الناس ضرورة للعاملين في سبيل الله.

وهذا يقتضي حث كوادر المجتمع الجيدة على الفاعلية والإيجابية ليكونوا هم حقيقة لا ادعاء واجهة المسؤولية المجتمعية التنفيذية لا الجماعات المجاهدة؛ فيكافئ المجتمع كوادره أو يقاطعهم بدل أن يقاطع المجاهدين، بل ويستعين المجتمع بالمجاهدين –لأنهم أصحاب السلطة الرقابية– على انحراف من ينحرف من أعيان المجتمع..

ويقتضي أن تبدأ الإدارة المسؤولة للمجاهدين بمعالجة الأزمات الخطيرة بجدية؛ كالمخيمات غير الإنسانية، ومناهج التعليم العلمانية، وإجرام الجندرما التركية بحق عابري الحدود..، فلا تتجاوز الواقع وتنأى عن حقائق المجتمع لمسائل ثانوية فرعية.

والإدارة الجادة هي التي تكون مستعدة حقيقة لأي أزمات أو طوارئ؛ كحصار يتبعه شح في المواد الغذائية والمحروقات، أو توقف منظمات تعليمية وطبية وإغاثية يتبعه بطالة وفراغ وفقر، أو قصف يتبعه شهداء وجرحى ونازحون...

وإن إدراك حقيقة واقع الصراع بسوريا يؤكد أن العسكرة هي عامل الحسم الحقيقي، لا المعادلات السياسية الدولية التي قد تؤجل معركة ما قليلا ولكنها لا يمكن أن تمنعها؛ كما جرى في حلب والغوطة، ولا مشاريع الإدارات والحكومات الداخلية التي قد تكون غطاء مرحليا ولكن حتما ستنتهي المرحلة؛ كما جرى مع الإدارة الذاتية في عفرين، ويبقى السلاح أوفى صديق للمجاهدين.

ليالي حلب ٢٠
بين مرحلة انهيار العدو ومرحلة حرب الجيوش

كانت من أوائل المعارك التي حصلت بعد دخولي حلب معركة محاولة تحرير مطار النيرب، وقد كانت هذه المرحلة من المعارك فاصلا بين مرحلتين من المعارك؛ وهما:

أ- المرحلة السابقة: وهي مرحلة الانهيار السريع لقوى الجيش النصيري؛ حيث كان المجاهدون يسيطرون على الثكنات العسكرية ويدخلون القرى والمدن بلا مشقة كبيرة، ويستفيدون من تفكك الجيش المعادي وكثرة الانشقاقات عنه، فكانت الحرب وقتها أشبه بحرب شوارع متطورة وحرب جيوش بدائية، ترتكز على السلاح الخفيف والضغط النفسي والتحرك السريع للمجموعات الصغيرة..

ب- المرحلة اللاحقة: وهي مرحلة حرب الجيوش الحقيقية، البعيدة عن حرب الشوارع، والتي تعتمد في أكثرها على الكثافة النيرانية والسلاح الثقيل والتشكيلات العسكرية المتعددة، وأدخل النصيرية فاعلين جدد في معركته ضد المجاهدين مثل المليشيات الرافضية متعددة الجنسيات، وأصبح سلاح الطيران أكثر قوة وفاعلية في المعارك، مع سيطرة العدو على من تبقى معه من جنوده فقَلَّت ظاهرة الانشقاق عنه، وبث النصيرية روح المقاومة بين جنودهم، مع التضخيم الإعلامي لانتصارات صغيرة في بعض أطراف البلاد...، وتوقفت في تلك المرحلة المظاهرات في مناطق سيطرة النصيرية؛ لأن التعامل في هذه المرحلة كان هو القتل المباشر لمن يتظاهر ومن يحمي المتظاهر أو يتستر عليه، وانحاز من يريد إكمال مسيرته الثورية إلى المناطق المحررة، وأصبح التنقل من مناطق سيطرة الثوار والمجاهدين إلى مناطق سيطرة النصيرية يمر بحواجز مشددة وتفتيش دقيق...

* فكانت حلب في تلك الأيام في سنة ٢٠١٣م عبارة عن قنطرة بين تلك المرحلتين؛ حيث كان الثوار والمجاهدون لا يزالون يأملون في تحرير الأماكن الواسعة بالأساليب

السابقة مع تطويرها شيئا ما، وكان العدو يطور أساليبه ووسائله..

كل ذلك جعل تلك المرحلة الانتقالية تجمع بين انتصارات كبيرة وهزائم وتراجعات مؤلمة؛ فخسر المجاهدون عددا من المعارك كمعركة مطار النيرب وبعض مناطق حلب القديمة ومعارك السجن المركزي، وكانت هناك انتصارات كما في معركة مطار الجراح وخان طومان وخناصر وفتح الرقة..

ولكن هذه المرحلة الانتقالية تغيرت في الشمال المحرر –عدا مدينة حلب– وتطورت إلى معارك الجيوش؛ فكان جيش الفتح الذي جدد أساليب القتال وطور الأداء، وواجه العدو بقوة تناوئ قوته، وتمدد المجاهدون إلى إدلب وما بعدها وكانت لهم صولات وجولات مشهودة..

أما في مدينة حلب فقد بقي الوضع العسكري على حاله ولم يتطور مع الأيام إلى أن تم تهجير أهالي حلب والوضع العسكري على ما هو عليه؛ فرغم أن بمدينة حلب ما يعادل نصف رباط الشمال المحرر، ودارت فيها وفي أطرافها ثلثا المعارك في السنين الثلاث الأخيرة من تحريرها، ومع ذلك لم يكن بمدينة حلب سوى من ٥ إلى ١٠ % من مقدرات الشمال السوري المحرر كسلاح ورجال ومال..، فلم يكن غريبا أن تكون حلب ضعيفة عسكريا، متأخرة درجة عن حرب الجيوش والتطور العسكري الذي كان ملحوظا عند المجاهدين خارج حلب وملحوظا عند العدو النصيري كذلك.

والأغرب من ذلك أن جبهات مدينة حلب كانت نوعين؛ نوع يعتبر على أطرافها الخارجية كالشيخ سعيد وعزيزة والبريج، ونوع داخلي على الجزء المحتل من مدينة حلب كصلاح الدين وبستان القصر وحلب القديمة..؛ فأما الجزء الذي على الأطراف فشهد عدة معارك وكانت هناك جهود تتعلق به خلال سني الثورة في حلب، أما الجزء الداخلي المتعلق بجبهات حلب المحتلة فلم يشهد أعمالا قوية خلال تلك السنين سوى أعمال

معدودة ومحدودة، وكان ذلك مثار استغراب كبير خلال تلك السنين، فلا أدري أهو الخوف على الأهالي من حرب وسط المدينة هو الذي منع فتح تلك الجبهات، أم هي أوامر خارجية، أم أن تلك الجبهات كانت بقرة حلوبا يتاجر سماسرة الحروب بالرباط فيها؟

واستمرت حالة الندية خارج حلب إلى أن كانت معركة تحرير العيس والتي تعتبر آخر معركة كبيرة يحقق فيها المجاهدون هدف المعركة كاملا وذلك بتحرير العيس والثبات فيها وصد هجمات العدو المتكررة التي تحاول العودة للمنطقة المحررة حديثا، ثم استطاع العدو بعد تلك المعركة تطوير أساليب قتاله، فرغم أن المجاهدين استطاعوا مرارا كسر خطوط العدو والتقدم لمناطق جديدة إلا أن العدو كان يعود سريعا لإخراج المجاهدين من المناطق الجديدة فيفشل المجاهدون في تحقيق الهدف النهائي للمعركة، كما حصل في معركتي كسر الحصار عن حلب، ثم معركة حماة الأولى والثانية ومعركة أبو دالي؛ فكان المجاهدون هم من يحدد وقت بداية المعركة ولكن كان العدو هو من يحدد وقت نهايتها..

وإزاء هذا التطور الجديد في المعارك والذي لم يتغير منذ ثلاث سنين يجب على المجاهدين إعادة رسم تصور مطور للمعارك، وهذا ما يشغل بال الكثير من الغيورين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا.

ليالي حلب ٢١
حزب التحرير في حلب

كان من أبرز صور الاختلاف في حلب اختلاف المشاريع بين المشروع الإسلامي والمشروع العلماني، وتحت كل مشروع من هذين المشروعين مشاريع متعددة وأفكار متنوعة وقوى مختلفة، سواء على الجانب العسكري أو الجانب المدني، وكان من أبرز المتصدرين أمام الناس في الجانب المدني حزب التحرير كمنافح عن المشروع الإسلامي، وتيار وعد كرأس في المشروع العلماني..

وظهر في حلب صراع فكري بين الطرفين؛ فحزب التحرير ينشر المنشورات ويكتب العبارات على الجدران ويزور وجهاء المجتمع مناديا بالخلافة، ومحذرا من مؤامرات الغرب وفخاخ العمل السياسي، وداعيا لرفع علم لا إله إلا الله..

أما تيار وعد فيتغلغل في الإعلام وبين بعض الفصائل وينشئ منظمات ويشتري أناسا، ويدندن حول الحريات والمرأة ورفع العلم الأخضر..

ومن الأحداث المشهودة في تلك الحقبة أن الخلاف اشتد ظهوره بين الطرفين؛ فبدأ كل طرف بتسيير المظاهرات والضغط بالشارع وكانت جبهة النصرة بحلب تقف في تلك المظاهرات مع حزب التحرير وتتعاون معه، وكان تجمع فاستقم يساعد تيار وعد..

واغتاظ التجمع من أنشطة حزب التحرير خاصة منشوراته وكتاباته التي تخون السياسيين الذين يشاركون أو يؤيدون المؤتمرات الخارجية كجنيف والرياض وما شابهها، واعتبر التجمع هذه العبارات اتهاما له؛ فقام باعتقال عدد من أعضاء حزب التحرير، وكان يتردد علي وقتها المسؤول الدعوي لتجمع فاستقم فسألني عن رأيي في الأمر، فقلت له: رأيي الإفراج عن أعضاء حزب التحرير، فالضغط على طرف وإن كانت عنده بعض الأخطاء

في بيئة فيها أخطاء مضادة أكبر وأشنع وهي الأنشطة المشبوهة التابعة لمنظمات علمانية وعدم الضغط على الطرف الآخر لينضبط الجميع هو خطأ صريح.

وبعد أيام جمعني لقاء مع أبو قتيبة أمير تجمع فاستقم وحضر قاضي محكمة التجمع، وقال لي قاضيهم: سمعت أنك تدافع عن الأشاعرة المبتدعة في حزب التحرير الذين يعتقدون كذا وكذا وتطالب بالإفراج عنهم!!، نظرت باحتقار لهذه المزاودة التي تظهر بشكل الحرص على نقاء المنهج السلفي من كيان عرف بتمييعه، رغم أن فعل التجمع هذا هو في حقيقته مساعدة -بوعي أو بغباء- للعلمانيين وذلك بإضعاف خصومهم، فيسهل عمل العلمانيين التخريبي في المجتمع.

رفض القاضي كلامي الذي اعتبره مدافعة عن المبتدعة، ولكنه اضطر بعد فترة لإخراجهم، وظلوا شوكة في حلوق العلمانيين.

وحزب التحرير عدد أفراده قليل، ولكن نشاطهم الإعلامي أكبر من حجمهم ولهم انتشار في كثير من البلاد والدول، وطرحهم العام بين الفصائل لا قبول له؛ حيث يزعمون أنهم أهل السياسة والحُكم فينبغي لأهل الشوكة وهم الفصائل تسليم الحكم لهم، زاعمين أنهم الوحيدون الذين عندهم رؤية لإدارة الدولة بناء ما سموه "مشروع دستور دولة الخلافة"، وإذا قلت لهم: لو كانت القضية بكتابة دستور فهناك عدة كتابات أخرى أراد كاتبوها أن يجعلوها معبرة عن الدستور الإسلامي؛ كالدستور الذي أعده الإخوان المسلمون، والدستور الذي أعده الأزهر، والدستور الذي أعده علي جريشة، والدستور الذي أعده مصطفى كمال وصفي، وغير ذلك، فوجئ أغلبهم وأنكروا ذلك!

ولكن مما يحسب لهم أنهم –مقارنة بحجمهم وتأثيرهم- أكثر من يحذر من مؤامرات المؤتمرات الخارجية؛ كجنيف والرياض والأستانا وسوتشي..، وأنهم بالعموم أكثر وعيا بحقيقة تلك المؤامرات وحذرا منها من السياسيين الذين أنتجتهم الفصائل الثورية

والجهادية..

والأصل في التعامل مع أمثال هذه التجمعات التي لها وجهة إسلامية مع أخطاء عديدة هو الاستفادة من غيرتها الحميدة وكرهها للعلمانية في استكمال جوانب المشروع الإسلامي الذي نريد؛ فليس من المعقول أن تكون المناهج التعليمية في مجتمع ما تحوي الكفر البواح، والمراسلون الإعلاميون لقنوات الإلحاد والعلمنة يجوبون المناطق، والجمعيات المنحرفة تسرح وتمرح، والمؤامرات الدولية تحاك وتجند لها من ينفذها أو يمررها، ثم يكون الهم محاربة بدع حزب التحرير واعتباره عائقا في سبيل المشروع الإسلامي والانشغال به عن الأعداء الحقيقيين..

إن احتواء المخالف من أصحاب المشروع الإسلامي والعمل على استغلال نشاطه في الجهة التي تصب في صالح الجهاد، والحنكة في تفادي أضراره، هو الواجب على من يحمل هم القضية الإسلامية، أما الهدم والمشاكسة فيجيدها كل أحد .

وإن من الأخطاء القاتلة في مسيرة بعض الجماعات أن شعاراتها أكبر من ممارساتها بكثير، فمثلا كلمة "مشروع الأمة" يمكن ترددها كثيرا لكن الممارسة العملية قد لا ترقى لأن تكون مشروع أمة ولا فصيل ولا تيار داخل فصيل، بل قد لا يتعدى الأمر ليكون مشروعا شخصيا لا يتجاوز قدرات أفراد محدودين غير قادرين على الاستفادة من إمكانياتهم الشخصية قبل أن يستفيدوا من إمكانيات الآخرين.

ليالي حلب ٢٢
ظاهرة تعدد الفصائل والكتائب وتفرقها

من أوضح المظاهر التي شاهدتها بحلب وتنتشر في كل سوريا كثرة المجموعات والكتائب والألوية والفصائل والكيانات..، وضعف الروابط بين هذه التشكيلات وداخل التشكيل الواحد؛ فالتفرق أصل والتعدد ثابت من ثوابت المجتمع.

بل يكثر أن تجد في قرية صغيرة عدة حارات بينها تنازع؛ فهؤلاء من الحارة الشرقية وأولئك من الحارة الشمالية وبينهما خلافات ومشاكل تاريخية، وأفراد كتيبة الحارة الشرقية يعملون مع فصيل وأفراد الحارة الشمالية يعملون مع فصيل آخر!، وفي داخل الحارة الواحدة كالحارة الشرقية مثلا عدة مجموعات منفصلة عن بعضها البعض يربطها رابط ضعيف بالفصيل الذي يعملون معًا فيه!!

وإذا كان التفرق الفصائلي غريب في سوريا فالأغرب منه التفرق اللغوي؛ فمثلا بحلب وريفها عشرات اللهجات فلكل قرية لهجة قد تختلف عن لهجة القرية المجاورة!، وقد تجد أن بين القريتين شارعا صغيرا ولهجتاهما مختلفتان؛ فلهجة عَندان تختلف عن لهجة حَيَّان وتختلفان عن لهجة عنجارة ويختلفون عن لهجة قبتان ثم تختلف كل تلك القرى عن لهجة دارة عزة!..، هذا فضلا عن تعدد اللغات في حلب وريفها كالعربية والكردية والتكرمانية..

بل قد ذكر المؤرخون أن لكل حي من أحياء حلب لهجة!، فيقولون عن حلب: "لكل محلة عندنا لهجة مخصوصة بأهلها غلب عليهم ذلك باعتبار خلطائهم؛ فسكان محلة باب النيرب يغلب على لهجتهم ألفاظ أهل الصوف والوبر، وسكان محلة الكلاسة يغلب عليهم ألفاظ أهل الحرث، وسكان محلة الفرافرة يوجد في كلامهم كثير من الألفاظ التركية والفارسية..، والنصارى واليهود يغلب عليهم في تراكيب كلامهم أساليب اللغات

الإفرنجية..، وهكذا بقية المحلات".

إن إدراك طبيعة الشعب السوري تفسر بوضوح ظاهرة الفصائلية التي عجز الكثيرون عن تفسيرها والتعاطي معها، ولذا لم تكن الموعظة الحسنة كافية لتوحيد أغلب الجماعات؛ حيث أخرج الكثيرون مبادرات ومحاولات وأطروحات.. ولكنها اصطدمت بواقع لم تستطع تجاوزه، وكان أكثر التوحدات في تاريخ الثورة شكليا صوريا لم يبلغ مرحلة الاندماج الحقيقي، وظل الأكثرون يدورون في حلقة مفرغة؛ فالاندماج واجب، وتشاور القادة هو سبيل الاندماج، ولكن التشاور لا يؤدي غالبا لاتفاق القادة على اندماج!.

لذا كانت أشهر طرق التوحد في تاريخ الثورة السورية –إضافة للتوحد المنهجي الذي استفادت منه مرحليا أحرار الشام وجبهة النصرة في المراحل الأولى لنشأتيهما– قائمة على الترغيب أو الترهيب؛ فعندما تنهار جبهة من الجبهات تتوحد أحيانا فصائل تلك الجبهة، وعندما يصل دعم لقائد من القيادات يوحد بالمال عددا من الكيانات، وعندما يختلف كيانان يتغلب أحدهما على الآخر..، وتاريخ الشام الطويل حافل بتلك الأنواع من الاندماجات الواقعة تحت سطوة الترغيب أو الترهيب..، وبالترغيب والترهيب قام ملك نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي رحمهما الله، وبالطبع تجب الموازنة بين المصالح والمفاسد عند استخدام تلك الأساليب؛ فلكل واقع ما يناسبه.

ومن الأخطاء التي وقع فيها البعض إزاء واقع التفرق في سوريا أنه اعتبر أن تعدد الجماعات في جهاد الدفع سائغ لا حرج فيه؛ لأن جهاد الدفع لا يشترط فيه شرط..، وهذا خطأ نتج عن الخلط بين شروط الجهاد وواجبات المجاهد؛ ففي جهاد الطلب تشترط لوجوب الجهاد شروط منها: أن يكون حرا ذكرا..، أما في جهاد الدفع فلا تشترط تلك الشروط؛ فقد يجب جهاد الدفع على العبد والمرأة..، وهذا يختلف عن واجبات المجاهد في جهاده طلبا كان أو دفعا؛ فمما يجب على المجاهد في جهاد الطلب وفي جهاد الدفع: إعداد العدة، ورص الصفوف..؛ فمن خرج يجاهد في جهاد الدفع بسكين

مع قدرته على الجهاد بالرصاص فهو آثم، ومن خرج يجاهد بصفوف متفرقة مع قدرته على الجهاد صفا كالبنيان المرصوص فهو آثم..؛ بل إن جهاد الدفع يدفع للتحصيل الأتم لأسباب النصر الشرعية والكونية، فما كان منها واجبا في جهاد الطلب فهو في جهاد الدفع أوجب وآكد.

ومن الطرق للاستفادة المثلى من واقع التفرق القدري وتقليل أضراره:

– الاستفادة من العصبات في التنافس بينهم في الخير والتسابق للمكرمات.

– وكثرة التقسيم والتوزيع الإداري التي تُحمِّل أكبر قدر من الناس بعض المسؤولية وتجعلهم أمراء على شيء ما.

– وكذلك وضع أمراء على الطرفين المتنافسين من غير هذين الطرفين.

* وإن العمل على مواجهة التفكك الاجتماعي بإلغاء الروابط الاجتماعية المتبقية أو بتهميش رؤوس الناس، تحت وهم أن التنظيم المؤسساتي يغني عن تلك الروابط، هو هلاك وانتحار؛ فالمؤسسات بلا روابط اجتماعية ترفدها بالكوادر وتضخ فيها الأفراد وتجدد لها الدماء هي نبتة مقطوعة من جذرها تبدو أول وهلة جميلة جذابة ثم لا تلبث إلا قليلا حتى تذبل ثم تموت.

ليالي حلب ٢٣
وصول الثورة لذروة قوتها

كانت الثورة بحلب في سنة ٢٠١٣ وصلت إلى ذروة نموها؛ فحلب تموج بالمجموعات والكتائب والفصائل، والهيئة الشرعية بحلب لها نفوذها وقوتها، بل وتم قطع الطريق على حلب المحتلة فأصبحت محاصرة، والسجن المركزي ومطار كويرس محاصران كذلك..

وأتذكر وقتها أعداد الانتساب الكبيرة التي كانت تأتي لمقر أحرار الشام بمدرسة الثورة بالسكري فيتم قبول عدد منهم وتأجيل الباقي، ومن يتم قبوله ينتظر مدة طويلة إلى أن يتم فتح المعسكر في قلعة سمعان ثم يأخذ الدورة الشرعية العسكرية ثم ينتظر إلى أن يتم تفعيله، فلم تكن هناك مرونة تسمح باستيعاب تلك الأعداد من راغبي الجهاد..

وفي تلك الأثناء كان إعلان البغدادي دولته في العراق والشام وإعلان الجولاني تبعيته لتنظيم القاعدة، وما تبع ذلك من تسابق في بسط السيطرة في المناطق المحررة، وإعادة النظرة العامة لمسيرة الثورة والجهاد أمام هذا الخلاف الداخلي الذي نتج عنه استقطاب حاد في صفوف المقاتلين، وسيأتي تفصيل الكلام عن بعض ذلك عند الحديث عن تنظيم الدولة إن شاء الله.

أمر آخر كان له دور في إعادة النظرة العامة لمسيرة الثورة والجهاد وهو انقلاب السيسي لعنه الله على مرسي بمصر، فقد كان هناك تصور عام عند كثير من الثوار والمجاهدين قبل هذا الانقلاب مفاده أن النظام الدولي لن يصادم الثورة وسيسمح بقيام نظام حكم ثوري غير إسلامي ولكن فيه متنفس وحرية للإسلاميين على غرار نظام تركيا ومصر، وأذكر أني حضرت لقاء بسوريا قبل انقلاب السيسي تكلم فيه أحد كبار القادة السوريين فقال عن جماعته: "إنهم لن يشاركوا في نظام حكم ديمقراطي بعد سقوط بشار،

ولكنهم لن يبادروا للاصطدام مع ذاك النظام الديمقراطي المتوقع، بل سيعملون وقتها على نشر الدعوة بعد عشرات السنين من التجهيل المتعمد"، ثم أردف قائلا: "وضمان استمرار الدعوة وقتها هو الحفاظ على السلاح، فلن نفرط في السلاح أبدا، وإذا اضطررنا حينها للمواجهة فسنواجه"...

كان هذا هو التصور المنتشر عند الكثيرين من الثوار والمجاهدين قبل انقلاب السيسي، وكان التصور الآخر وقتها عند بعض المجاهدين أن نظام بشار سينهار وسيقوم نظام على غرار نظام مصر وسيستمرون في مواجهته حتى يصلوا لحكم الإسلام..

أما بعد انقلاب السيسي فقد أيقن الكثيرون أن النظام الدولي يعمل على إعادة إنتاج الأنظمة القمعية، وأنه لن يسمح بقيام نظام إسلامي بل ولن يسمح بقيام نظام جاهلي متعاطف مع الإسلاميين، وأنه لا بديل عن تبني المشروع الإسلامي بقوة والاستمرار في الثورة حتى وصول الإسلاميين للحكم الإسلامي..

ومما قوى هذا الشعور أن بشار الأسد بعد انقلاب السيسي ضرب الغوطة الشرقية بالكيماوي، وهو ما أكد أن النظام الدولي متعاطف معه ويحارب الثورة جملة وتفصيلا..

وبعد الضربة الكيماوية صعدت أمريكا لهجتها ضد بشار الأسد وظن الكثيرون وجود ضربة أمريكية ضد بشار الأسد، ولكن كثيرا من قادة الثورة والجهاد توقعوا أن تكون الضربة الأمريكية للثوار أكبر من ضربته المتوقعة لبشار؛ لذلك أعلن الشيخ أبو عبد الله الحموي "حسان عبود" أمير أحرار الشام: أن أي قوة أجنبية تدخل سوريا فهي قوة احتلال، وكان يقصد رحمه الله جهاد أمريكا إن دخلت سوريا؛ لعلمه أنهم ما جاؤوا إلا لحرب الثورة كلها بعد أن قطعت شوطا كبيرا في القضاء على النظام النصيري.

ونتج عن ذلك أن تم في أواخر سنة ٢٠١٣ الإعلان عن تشكيل الجبهة الإسلامية

والتي تضم: أحرار الشام وصقور الشام ولواء التوحيد وجيش الإسلام وأنصار الشام ولواء الحق، وصدر ميثاق الجبهة الإسلامية والذي كتبه أبو أيمن الحموي وأبو يزن الشامي رحمهما الله، وكان ميثاقا مشرفا واضحا ينص على أن الجبهة الإسلامية: "هي تكوين عسكري سياسي اجتماعي إسلامي شامل يهدف إلى إسقاط النظام الأسدي في سورية إسقاطا كاملا وبناء دولة إسلامية تكون السيادة فيها لشرع الله عز وجل وحده مرجعا وحاكما وموجها وناظما لتصرفات الفرد والمجتمع والدولة".

وكانت الجبهة الإسلامية تضم أغلب الكيانات الفاعلة في الثورة السورية وقتها عدا جبهة النصرة وتنظيم الدولة؛ فأما جبهة النصرة فقد جاءها توجيه من الدكتور أيمن الظواهري بالانضمام للجبهة الإسلامية ولكنها لم تطع الأمر، وأما تنظيم الدولة فكان ظاهرا للجميع عدم إمكانية الالتقاء معه وأن الصدام قادم لا محالة، ولكن كان الأكثرون يحاولون تأخير الصدام مع الدواعش لما بعد سقوط بشار.

ليالي حلب ٢٤
حملة دبيب النمل وإشكاليات الرباط

استطاع النصيريون آخر سنة ٢٠١٣م فك الحصار عن الجزء المحتل من حلب وتأمين طريق إمداده، وذلك عبر عدة معارك تقدم فيها بريف حلب الجنوبي واستعاد طريق خناصر الذي كان يقطع الطريق عن حلب، ورفع العدو النصيري بذلك معنويات جنوده، ومع ذلك ظل الوضع الثوري العام جيدا.

ولكن العدو لم يتوقف عند ذلك بل بدأ يتقدم في أطراف حلب الشرقية فيما عرف بعد بخطة دبيب النمل التي سار فيها العدو ببطء وقوة عبر مراحل عديدة حتى حصل بحلب ما حصل..

ففي يوم الجمعة ٨- ١١- ٢٠١٣م فوجئ المجاهدون بحلب بعملية مباغتة للعدو النصيري سقط على إثرها اللواء ثمانين بالجهة الشرقية بحلب بيد العدو النصيري، وأفاق أهل حلب على تحد جديد لم يكن بحسبانهم..

وقد اختلفت التحليلات في كيفية سقوط اللواء ثمانين بغتة دون مقدمات أو معارك ضخمة؛ فمن قائل إنه تقدم للمنطقة عبر خونة متواجدين في منطقة الرباط سهلوا له الدخول، ومن قائل بل دخلها باقتحام لم يستطع المرابطون صده لضعف تجهيزهم وكفاءتهم..

وقد تكررت هذه الحادثة كثيرا في حلب وتكررت في شتى الثغور السورية؛ حيث ينهار رباط منطقة ما فجأة ويتنادى الناس لاستعادة المنطقة، وعندما تصل المؤازرات تستطيع في بعض الأحيان استعادة المنطقة، وفي أكثر الأحيان يكون العدو قد جهز المنطقة التي دخلها جديدا فتفشل محاولات المجاهدين ثم يستسلمون بعد عدة أيام للوضع القائم.

وكان من أهم أسباب ضعف الرباط في حلب وأكثر الثغور أن عناية أحرار الشام وجبهة النصرة بالرباط ضعيفة ولم تكن عندهما إستراتيجية لتغطية الرباط أو أكثره، بل كانوا يكتفون غالبا ببعض النقاط في بعض الجبهات فقط، معتبرين أن مهمتهم هي المعارك، أما "الجيش الحر" فعليه الرباط، فلم يكن مجموع رباط الأحرار والجبهة بحلب المدينة يغطي سوى من ١٠ إلى ١٥ % من نقاط رباط حلب .

والسبب الثاني المهم في إهمالهما للرباط أنهما كانا يستثقلان تبعات الرباط الحقيقي؛ فاستلام نقطة رباط يعني تحصينها وتدشيمها ومؤازرتها واستلام غرفة عملياتها والتكفل بذخيرتها ومصاريفها وغير ذلك، وهو ما يجدان صعوبة في الاستمرار به في ظل حالة الضعف الإداري المعروف عنهما، أما عامة الفصائل فتتسابق على الإكثار من الرباط لأنه يعني لها نفوذا في المنطقة ودعما خارجيا، ولا يكلفهم أعباء كبيرة لأنه في كثير من الأحيان رباط صوري تضعف عنايتهم فيه بالأمور العسكرية.

يضاف إلى ذلك أن استلام الأحرار والجبهة لنقاط رباط يعني ضرورة وجود أعداد من المجاهدين المفرغين للرباط، وهذا يستلزم دفع منح وكفالات ورواتب شهرية أو دورية لهم، وهذا ما لم تتبناه الجماعتان بشكل جدي، بل إن بعض الأمراء يظنون أن خروج المجاهد في سبيل الله يتنافى مع تخصيص كفالة له، وأن تخصيص كفالة دورية للمجاهدين يحولهم إلى مرتزقة!!! وأن صرف المال في التجهيزات العسكرية أو المشاريع الاقتصادية أولى من إعطاء المجاهد الكفاف!!،

وما تنفعُ الخيلُ الكرامُ ولا القَنا...
إذا لم يكنْ فوقَ الكرامِ كرامُ

وهذا الحرمان للمجاهدين من حقوقهم مخالف للشرع والعقل، قال ابن تيمية: "لا تتم

رعاية الخلق وسياستهم إلا بالجود الذي هو العطاء، والنجدة التي هي الشجاعة؛ بل لا يصلح الدين والدنيا إلا بذلك... وهو مما اتفق عليه أهل الأرض"، فنتج عن هذا الجهل قلة الملتزمين مع هذين الفصيلين بالرباط مقارنة ببقية الفصائل..

وأذكر أن أكبر جبهة بحلب كانت جبهة خالد حياني، وهو أسوأ فصيل بحلب، ولكن يقال عنه: يكفي أنه يرابط على رُبع جبهات حلب ويسد ثغرا كبيرا لا يستطيع أحد سده!! وعندما جاء الاختبار كانت تلك الجبهات أول جبهات حلب سقوطا، وتبين للجميع أن إهمال الفصائل الجيدة للرباط لا يعفيهم من المسؤولية بل يجعلهم شركاء في التقصير مع البقية.

إن سد كافة ثغور الرباط بالمجاهدين الأكفاء واجب متحتم، وقيام غير الأكفاء بالتواجد في الرباط لا يسقط الفرض عن الآخرين؛ لأنه تواجد لا يصد الأعداء ولا يؤخر تقدمهم ولا يعين المؤازرات القادمة، فالرضا به هو خداع للنفس عن حقائق الأمور.

وإن تبني الرباط بقوة هو مغنم لمن يتبناه لا مغرم، فعلى قدر المؤونة تكون المعونة؛

فالرباط الحقيقي يرفع جاهزية المرابط ويجعله قادرا على خوض المعارك،

والرباط الحقيقي يحفظ كثيرا من الدماء والعتاد والذخائر التي تنفق غالبا بلا جدوى كبرى في محاولة استعادة المناطق التي تسقط بسبب الرباط الصوري،

والرباط الحقيقي يكون منطلقا لاكتشاف ثغرات العدو ورصد تحركاته فتسهل الفتوحات والغزوات والكمائن.

والرباط الحقيقي يتبناه الصادقون في المجتمع فيضخون له كل ما يعينه على أداء مهمته.

ليالي حلب ٢٥
حملة البراميل الأولى المكثفة

بعد تقدم العدو النصيري في اللواء ثمانين ومحاولاته التقدم إلى النقارين شرقي حلب في الشهر الحادي عشر من سنة ٢٠١٣ م بدأت أول حملة مكثفة للقصف بالبراميل على مدينة حلب، فكان العدو اللئيم يرتكب بطيرانه يوميا مجازر عديدة وبلغ عدد الشهداء والجرحى اليومي في كثير من تلك الأيام إلى مائة شهيد ومئات الجرحى..

وكان طيران العدو يتعمد استهداف البنايات السكنية والأسواق المزدحمة والمدارس التعليمية، والمناطق المحيطة بالمقرات العسكرية..

وكانت عادة العدو في تلك الأيام أن يكون القصف الطيراني بالنهار، فيظل أكثر الناس في بيوتهم نهارا ويخرجون للاطمئنان على أقربائهم وللتسوق مساء..

وعانى الحلبيون في تلك الأيام مآسي تشيب من هولها الولدان؛ فنزح كثيرون جدا من حلب وانخفض عدد السكان بشكل ملحوظ، وقد تسبب ذلك أيضا في تنقية صفوف الثوار حيث فر الكثيرون وانتقلوا من مدينة حلب إلى الأرياف وتركوا حلب عند المحنة وخذلوها بعد أن تنعموا بكثير من خيراتها..

أما أهم ثلاث ظواهر تتعلق بالقصف العشوائي والمجازر التي يرتكبها طيران العدو النصيري والروسي فهي:

١- أن الثورة السورية أهملت سياسة الردع واكتفت أحيانا بسياسة التنكيل العشوائي: أي أن قادة الفصائل المجاهدة والثورية لم يعملوا بجدية على الوصول لحالة من القوة والجاهزية تجعلهم قادرين على ردع العدو فيتوقف عن تلك المذابح بسبب ما يتلقاه من

ضربات موجعة، فالاستهداف بالمدفعية والصواريخ والمفخخات والعمليات خلف الخطوط لمراكز التشبيح بقوة وتتابع كان يمكن أن يكون رادعا للعدو عن الاستمرار في تلك المجازر، فمثلا ضرب مائة مفخخة داخل تجمعات الشبيحة والقيام بمائة عملية خلف الخطوط وقصف عشرة آلاف قذيفة مدفعية وصاروخية كفيل إن شاء الله بإذلال العدو وإجباره على إيقاف أي حملة براميل، ولكن هذا -رغم إمكانية القيام به لو كان المجاهدون والثوار تبنوه بقوة- لم يكن محل تخطيط القيادات، بل كان عملهم ينحصر أحيانا في النكاية بالعدو ردا على جرائمه؛ فيقومون بعدة عمليات موجعة أو يضربون عدة رشقات صاروخية تقتل بعض الأعداء، ولكن العدو يعلم أن المجاهدين غير قادرين على الاستمرار بها لمدة شهر أو شهرين، فيتألم العدو بعمليات النكاية تلك ولكنها لا توقف حملته الهمجية، وقد تعجبت بعد تحرير كفريا والفوعة كيف أن الكثيرين كانوا يوهموننا بأنهم يضربون تجمعات الشبيحة فيهما ولكن الواقع أنه ضرب ضعيف لم يؤثر حتى على تجمعات الشبيحة العسكرية والشرطية في تلك القريتين، وكان الشبيحة فيهما أأمن كثيرا من عوام المسلمين في المناطق المحررة، وإذا كان هذا حال الشبيحة بالفوعة فمن المؤكد أن شبيحة القرداحة ينامون ملء جفونهم..

٢- أن التواكل والتفريط في الإعداد هو السمة البارزة في التعاطي مع تلك البراميل والصواريخ العنقودية والفراغية والارتجاجية خلال الثورة السورية، فمن النادر جدا أن تحفر مجموعة أو كتيبة مقرا تحت الأرض يحميها من الطيران، بل من المستبعد تماما أن تتخذ مجموعة مغارة قديمة جاهزة مقرا لها..، ومن العجائب في ذلك أنه كانت توجد بحلب مغارات ضخمة تحت الأرض منها مغارة في منطقة المغاير عمقها تحت الأرض عشرة أمتار ويضيع من يسير داخلها من عظم اتساعها وكثرة تفريعاتها، وكانت توجد بحلب كذلك ملاجئ كبيرة أعدها الجيش النصيري منذ سنين طويلة كتجهيز لحلب عند حالة الحرب، وكان يمكن أن تتخذ هذه الملاجئ أو تلك المغارات كمقرات عسكرية أو معسكرات أو ملاجئ للمدنيين أو مشافي أو مدارس...، ولكن لم يكن أحد يهتم بذلك غالبا ولسان حالهم: نموت نعم، نحتاط لا!..

٣- أن الشجب والتنديد واستجلاب التعاطف الدولي مهنة الكثيرين عند تلك الأزمات، ولكنه في الغالب شجب لا يرد عدوا وتنديد لا يخيف مجرما وتعاطف لا يغير شيئا، ويظل العالم يتابع المأساة شهرا أو شهرين حتى تنتهي حملة الإبادة وكأن شيئا لم يحدث، فلا ينبغي التعويل على من شجب وندد؛ فالمعركة في الميدان، و

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

ليالي حلب ٢٦
تزايد الخلاف مع تنظيم الدولة

توقفت حملة البراميل على حلب في آخر ٢٠١٣ وأول ٢٠١٤ م توقفا مؤقتا بسبب اتساع الخلاف والقتال بين تنظيم البغدادي والفصائل الأخرى في عموم مناطق الشمال السوري المحرر، ومن عادة العدو النصيري أنه يتوقف مؤقتا عند نشوب القتال الداخلي إلى أن يُضعف المتقاتلون بعضهم البعض ثم يهجم هو..

وكان نشوب القتال مع تنظيم الدولة متوقعا، ولكن كان الكثيرون يحاولون تأجيله؛ فقد كان تنظيم الدولة يتعامل مع الجميع بعنجهية وتعال، فكثيرون منهم وقتها -وإن لم يكن هذا هو التوصيف الرسمي عندهم- يعتبرون النصرة منشقين خائنين، والأحرار مرجئة مبتدعين، والجيش الحر مرتدين، وقد استولى تنظيم الدولة على كثير من سلاح ومقرات النصرة، ولكن كانت النصرة وقتها في حالة تفكك تحاول إعادة جمع من بقي معها، فلم تكن وقتها مستعدة للدخول في صدام مسلح مع تنظيم الدولة..

واستغل الدواعش وجود كثير من المفسدين في الجيش الحر فقاموا بعدة حملات على عدد من الفصائل منهم؛ كعاصفة الشمال وغرباء الشام والفرقة ١٦ وغيرهم، وكان كثيرون ينظرون لهذه الحملات بحيادية أو توجس أو معارضة كلامية؛ فهي حملات على مفسدين، ولكنها في غير وقتها وبغير الطريقة الحكيمة، وتهدف للسيطرة...

وكذلك صعد تنظيم الدولة ضد أحرار الشام الفصيل الجهادي الأكبر والأكثر شعبية؛ فكانت حادثة مقتل أبي عبيدة البنشي رحمه الله، ثم ذبح محمد فارس رحمه الله، وخلافات دير حافر، ثم أحداث مسكنة التي انتهت بإعدامهم الدكتور أبي ريان بأبشع طريقة، -وهي حوادث سأفصل فيها إن شاء الله عند الحديث عن تنظيم الدولة-، وقد كانت لكثير من هذه الحوادث صدى ضخم في المجتمع..

وأذكر أنه عندما أعدموا الدكتور أبا ريان رحمه الله –وقد كان مسؤولا للأحرار عن معبر تل أبيض لذا كفره جهالهم بزعم عمالته للأتراك!!– وأتت جثته إلى مقر أحرار الشام بالسكري، قلت يومها لأبي يزن رحمه الله، وكان نائب أمير الأحرار: إلى متى سيظل هؤلاء القوم يقتلون المجاهدين ولا أحد يردعهم؟، فقال لي رحمه الله: كل العقلاء ينصحوننا بعدم استعجال مواجهتهم حفظا للساحة.

وقد كانت طريقة أحرار الشام في التعامل معهم بتلك المرحلة هي التصعيد الإعلامي وإبراز جرائمهم والتواصل مع المشايخ المشهورين لتوضيح الصورة لهم، ومحاولة التفاوض مع الدواعش لإيجاد حلول جزئية للإشكاليات، وكان الشيخ أبو خالد السوري والشيخ أبو عبد الملك رحمهما الله يجلسون مع حجي بكر والأنباري وغيرهما في محاولة للوصول إلى حلول ولو جزئية، ولكن دائما لا يحققون إلا أدنى كثيرا مما يمكن قبوله..

وتوترت الأوضاع بحلب، وازداد افتعال الدواعش في تلك الأيام للمشاكل؛ فهذه مشكلة مع تجمع فاستقم، وتلك مشكلة عند الهيئة الشرعية، ومشكلة مع أحرار الشام عند مقر الأحرار بالسكري؛ حيث أرسلوا شخصا يوزع أوراقا ضد الأحرار أمام مقر الأحرار!، فنهره الإخوة، ثم أرسلوا شخصا يوزع الأوراق للخارجين من الصلاة بمسجد فاطمة عقيل المجاور لمقر الأحرار!، فاستدعى الإخوة بالمقر هذا الداعشي ونبهوه إلى خطأ هذا الاستفزاز، ثم خرج من المقر، وفي طريق عودته وجد أبا عبيدة المغربي أمني الدواعش بحلب قادما مع عدة مجموعات عسكرية لمقر الأحرار ليفكوا الأسير!! فأخبرهم الشخص بما حصل معه، ومع ذلك جاء أبو عبيدة المغربي للمقر وتكلم معي وهدد وتوعد، رغم أن المقر وقتها كان محصنا ولو حصل اشتباك سيُقتل هو ومن جاؤوا معه، ثم انصرف، وقد سمعت فيما بعد أن الدواعش أعدموا هذا المغربي؛ لأنهم اكتشفوا أنه عميل للمخابرات الدولية!!

أمر آخر جعل الدواعش يتعجلون الصدام هو الإعلان عن تشكيل جيش المجاهدين، الذي يضم: "الزنكي، وتجمع فاستقم، وثوار الشام، والأمجاد"، وهي فصائل جيش حر اندمجت صوريا مع بعضها البعض، أما سبب اندماجها، فقد ذكر لي بعض قادة الأحرار رحمهم الله: أن بعضهم طلب الانضمام للجبهة الإسلامية، فنصحهم أحد قادة الجبهة الإسلامية بالاندماج في كيان واحد يكون له قوة فيمكنه الانضمام للجبهة الإسلامية بدل دخولهم ككيانات صغيرة لا ثقل لها، فشكلوا جيش المجاهدين. ومما دفعهم لتشكيل هذا الجيش كذلك خوفهم من تنظيم الدولة.

ومن غير المستبعد أن تكون المخابرات الدولية عبر: الاختراقات، والشائعات، والدعم.. عملت على تعجيل صدام الدواعش والفصائل.

وقد اعتبر الدواعش أن الإعلان عن "جيش المجاهدين" هو تجهيز لقتالهم، فقرر الدواعش التصعيد في ريف حلب الغربي مركز ثقل جيش المجاهدين، ثم اقتحموا ليلة الجمعة على الفوج ٤٦، وقتلوا عددا ممن كان فيه، وهي الجمعة التي كان مقررا أن يتظاهر فيها الثوار باسم جمعة: "دم أبو ريان نور ونار"، فكان يوم الجمعة ٢ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٣- ١- ٢٠١٤م فاصلا في تاريخ الثورة السورية..

ليالي حلب ٢٧
اندلاع القتال مع تنظيم الدولة

كانت جمعة: "الدكتور أبو ريان شهيد الغدر – دم أبو ريان نور ونار"، ٢ ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٣- ١- ٢٠١٤م فاصلا في تاريخ الثورة السورية؛ حيث تحول الخلاف بين تنظيم الدولة وعامة الفصائل إلى قتال عام شامل، وذلك أن تنظيم الدولة عندما هجم على الفوج ٤٦ بريف حلب هجمت عليه فصائل جيش المجاهدين في حلب بتلك الجمعة، وربطت حلب بالريف وأن حل إشكالية حلب مرتبط بحل إشكالية الريف.

ولم يكن تنظيم الدولة في مدينة حلب مستعدا لتلك المواجهة؛ فقد أرسل المؤازرات لريف حلب الغربي، وعنده رتل في دير الزور، فاستطاع جيش المجاهدين دخول مقرات الدولة في الجزء الغربي من حلب المحررة واعتقل كثيرا من عناصره..

وإلى هنا كان الأمر في بداياته ويمكن إيجاد حل له، ولكن تنظيم الدولة لم يفرق بين فصائل الجيش الحر، فبعد أن كان لواء التوحيد محايدا أول يومين اضطره الدواعش بالهجوم على بعض أفراد لواء التوحيد للدخول في المعركة، واستخدم الدواعش العنف المفرط بالمفخخات وإعدام السجناء والقصف العشوائي، فدخل الأكثرون في المعركة، وأصبح كل من له مظلمة أو خلاف مع تنظيم الدولة يدخل في المعركة، وامتدت المعارك من حلب وريفها إلى ريف إدلب وريف حماة والساحل والرقة..

أما الأحرار والجبهة فكان انتشارهم في كل المدن بخلاف عامة الفصائل، فكان تعاملهم وقتها يختلف من مكان لآخر حسب القوة والضعف؛ فبأماكن قاتلوا الدواعش، وبأماكن هادنوهم، وبأماكن انحازوا من المنطقة، في تفاصيل يطول ذكرها، ولكن مما يفيد ذكره مما حصل تلك الأيام ما يلي:

– خرج تنظيم الدولة من ريف حلب الغربي والجنوبي وريف إدلب والساحل وسيطر على ريف حلب الشرقي وبعض الشمالي والرقة؛ حيث كان لجماعة البغدادي رتل في دير الزور بقيادة أبي عمر الشيشاني، فلما وقع القتال جاء إلى ريف حلب الشرقي وسيطر على المناطق التي مر بها، أما الغوطة الشرقية والغربية والحسكة ودير الزور وريف حمص ودرعا فكانت المعارك بها في مرحلة تالية لمرحلة معارك الشمال السوري.

– من أغرب الأشياء التي لها ما وراءها أن رتل الشيشاني وصل إلى الباب وكانت توجد في البدايات أعداد من الدواعش في طرف حلب الشمالي، وكان يوجد تجمع كبير للدواعش في حريتان، فالمنطقي والمتوقع أن يهجم رتل الشيشاني على مدينة حلب، ولكنه توجه للشمال جهة الراعي، وانتقل رتل حريتان إلى إعزاز ثم الباب، ولم يهجم الدواعش على مدينة حلب أبدا طول فترة وجودهم في المنطقة، رغم أنهم لو وَجَّهوا لها نصف ما وجهوه لمارع مثلا لربما سقطت حلب المحررة في يدهم، بل كان العدو النصيري هو من يدخل إلى المناطق المحاذية للدواعش من طرف الفصائل فيتمدد لها وظهره للدواعش آمن، وهذا الفعل من الدواعش له علاقة غالبا بأمور سياسية بين الدواعش والنصيرية والأتراك.

– تحولت المعركة رسميا إلى معركة عقدية؛ فدولة البغدادي تكفر عامة الفصائل، وعامة الفصائل تحكم على تنظيم الدولة بالخارجية.

– تسبب هذا القتال في ردة فعل فكرية عند الكثيرين؛ فازداد الدواعش غلوا وازداد المميعة تمييعا، واضطرب فكر ومنهج الكثيرين، فبعض من كان بالأمس مميعا هو اليوم من أهل الغلو، وبعض من كان بالأمس غاليا هو اليوم من أهل التمييع، وحار البعض وتاه في تحليل هذه الظاهرة وكيفية التعاطي معها، وأما أحرار الشام فانتشر بينهم الكلام عما سمي وقتها "الانفكاك من أسر أُخوة المنهج"، وأما الجبهة فانشغلوا باتخاذ مواقف هدفها الحقيقي الحفاظ على جنودهم وأن يقولوا من خلالها إنهم ليسوا مرتدين كما يقول

الدواعش، وليسوا دواعش كما يقول بعض الجيش الحر..

– اتخذ البعض موقفا محايدا من هذا الخلاف كجند الأقصى وجيش المهاجرين والأنصار وحركة الفجر وغيرهم، وقد حققوا بهذا الحياد مصالح مؤقتة وأصبحوا مأوى لمن يريد اعتزال القتال؛ فتضخمت أعدادهم، ولكن بسبب عدم وضوح موقفهم سرعان ما تحولت فصائلهم بتلك المرحلة إلى بيئة للشبهات، وأصبحت مقراتهم استراحة لمن يريد تأمين نفسه إلى حين إيجاد طريق إلى الدواعش، وانتهى أمرهم إلى القسمة الطبيعية؛ وهي: قسم التحق بالدواعش وقسم ضد الدواعش.

– تضاعفت الأعباء القتالية المناطة بالفصائل؛ فلم تعد المعارك والرباط تقتصر على قتال النصيرية ومن والاهم، بل أصبحت جبهات الخوارج تستهلك الكثير من الجهود والجنود.

– تسبب الخلاف مع تنظيم الدولة في ضعف شديد في بِنية الجميع؛ فقد ترك الكثيرون الجهاد والثورة كلية وبلاد الشام كذلك، فترك كثير من السوريين الثورة والجهاد وسافروا إلى تركيا، وعاد كثير من المهاجرين إلى بلادهم؛ هذا فضلا عن سقوط آلاف القتلى والجرحى في أول ثلاثة شهور من هذا القتال.

ليالي حلب ٢٨

الاستيلاء على الأرض أولوية عند العدو مهما كلفه ذلك

فور خروج الدواعش من مدينة حلب في الشهر الأول من سنة ٢٠١٤م وحتى قبل أن تتوقف المعارك مع الدواعش في بقية المناطق عادت حملة القصف الطيراني بالبراميل المتفجرة والصواريخ الفراغية على مدينة حلب مع عدة محاولات لاقتحام المدينة كان أبرزها محاولة التقدم من محور عزيزة، والتقدم في هذا المحور لو تم كان يعني قسم حلب المحررة قسمين ومحاصرة الجزء الغربي من حلب، ولكن بفضل الله تعالى استطاع المجاهدون إيقاف زحف الجيش في عزيزة واستشهد ثلة من خيرة المجاهدين منهم الشيخ أبو معاذ المصري همام عبد الفتاح رحمه الله، وكان وقتها شرعي الأحرار بحلب، وكانت له مكانة كبيرة عند عامة قادة الأحرار الأول وقادة فصائل حلب، نور الله مثواه.

وبعد أن فشل العدو النصيري في اقتحام مدينة حلب وتكبد مئات القتلى والجرحى أكمل تقدمه على الأطراف الشرقية لمدينة حلب جهة النقارين والطعانة والبريج..

وقد حاول المجاهدون إزاء هذه التطورات تحرير سجن حلب المركزي؛ حيث كان نقطة ارتكاز في منتصف الطريق من حلب إلى نبل والزهراء، وتحريره يضعف أمل العدو في فتح طريق من حلب إلى نبل، ولكن كل محاولات تحرير السجن لم تكلل بالنجاح، والله المستعان.

وبتقدم العدو جهة حندرات والملاح انتقل العبء الأكبر في مواجهة رتل النصيرية من مجاهدي مدينة حلب ومن يؤازرهم إلى مجاهدي ريف حلب ومن يؤازرهم، وأصبح رأس الحربة في تلك المعارك أول الأمر هو جيش المهاجرين والأنصار الذين كانوا وقتها يتمركزون في حريتان وما حولها، ثم بعد استمرار التقدم حمل العبء الأكبر مجاهدو المناطق التي هناك كمجاهدي عندان وحيان ورتيان وبيانون ومن يؤازرهم.

لقد كانت حملة دبيب النمل تعتمد على القوة النارية وإلقاء جنودهم في التهلكة بلا مبالاة بالخسائر التي يتكبدها العدو في تقدمه..

نعم، قد يستطيع المجاهدون قتل وجرح المئات في معارك ما، ولكن عندما تكون محصلة تلك المعارك تقدم العدو فإنه يعتبر نفسه منتصرا، فهو يملك عددا لا محدود من الحطب والجنود المغفلين الذين يسوقهم بالترغيب والترهيب وبسطوته وبطشه ليكونوا محاربين للمجاهدين..

إن الحقيقة الماثلة أمامنا أن جيش العدو يخوض معارك استنزاف طويلة من سنين ولكن لأنه يحكم ديارنا المحتلة بالحديد والنار فلا يتأثر كثيرا بما يفقده في تلك المعارك، فبعد الذي خسره في حملة دبيب النمل على حلب خسر في جبهات إدلب الكثير الكثير، وخسر في جبهات الرقة والدير مع جماعة البغدادي الكثير، ثم خسر في حصار حلب وتهجيرها الكثير الكثير، ثم في معارك حماة وشرق السكة، ثم معارك الغوطة وريف حمص ودرعا، وكذلك معارك تلول الصفا وتدمر، ومعارك ريف إدلب الآن..

فهو لم يتوقف رغم كل ما خسره لأن عنده قهر للشعب يستطيع من خلاله تعويض ما يفقده، فطالما أنه يتقدم على الأرض فهو يعتبر نفسه منتصرا، وهذا معيار مهم في تقييم المعركة؛ لأن السيطرة على الأرض تعني السيطرة على الشعب والموارد، وتعني نشوة النصر التي تدفع المنتصر لمزيد من المعارك..

ودليل ذلك أن خسارة المجاهدين لحلب غيرت ميزان القوة في المعركة بما قد يزيد عن الخمسين ألف مقاتل، فهو قد استفاد من قرابة عشرين ألف جندي من جنوده كانوا يرابطون على جبهات حلب الداخلية ضد المجاهدين فتفرغوا بعد خروج المجاهدين من حلب، يضاف إلى ذلك أنه سحب للجندية قرابة عشرين ألفا من أهالي حلب الذين نزحوا لمناطقه عند اشتداد القصف على الأماكن المحررة، وأخيرا فإن عدد المقاتلين من فصائل المجاهدين والثوار الذين تركوا السلاح بعد خسارة حلب وانهيار معنوياتهم قد يبلغ عشرين ألفا كذلك..

فالسيطرة على الأرض في معركتنا مهمة جدا، وهاهو العدو النصيري يشيع في العالم بأن مناطقه آمنة ليطالب المهجرين بالعودة، وهو يفعل ذلك ليستفيد من عودة خمسمائة ألف شاب في عمر التجنيد قد يستخدمهم عبر مراحل متعددة في حربه الغاشمة التي تحرق الأرض وتحرق جنوده كذلك دون أن يبالي بشيء.

فالحفاظ على الأرض في جهادنا بسوريا هو حفاظ على الجهاد والمجاهدين ومسيرة الثورة المباركة.

ليالي حلب ٢٩
غرف العمليات

بعد التطورات التي حدثت في حلب من حرب للدواعش، وحملة البراميل، ومحاولات العدو النصيري التقدم على أطراف حلب، تقرر في النصف الأول من سنة ٢٠١٤ م، إنشاء غرفة عمليات "أهل الشام"، والتي كانت تضم الجبهة الإسلامية وجبهة النصرة وجيش المجاهدين وفصائل من إدلب كلواء الحق وجند الأقصى وغيرهم...

ورغم عدم وجود تاريخ دقيق لبدايات غرف العمليات في الثورة السورية وتطورها، إلا أن غرفة عمليات أهل الشام تعتبر من أكبر وأقدم غرف العمليات في الثورة السورية، رغم أنها لم تدم سوى عدة شهور..

طلب مني وقتها الشيخ أبو يزن الشامي وكان أمير أحرار الشام بحلب أن أكون الممثل الشرعي لحركة أحرار الشام في غرفة العمليات، فذهبت لها، وكانت لي وقتها معرفة بكثير من الفصائل؛ حيث كنت تعاملت معهم سابقا عندما فوضتني الحركة في تقسيم غنائم معركة خناصر..

في أول لقاء حضر حسام الأطرش شرعيا عن جيش المجاهدين وقال لي بصراحة: أنا لست شرعيا، أنا أمني جيش المجاهدين!، ثم ترك الأمور الشرعية وانشغل باهتماماته الأخرى..

وحضر الشيخ أبو الحاكم رحمه الله شرعيا عن لواء الحق، ومن الجميل يومها أن مندوب جبهة النصرة في الغرفة وكذلك مندوب جند الأقصى فوضا الشيخ أبا الحاكم ليكون شرعيا عنهم كذلك في غرفة العمليات.

كانت فكرة غرفة العمليات تقوم على فتح محاور عديدة من داخل مدينة حلب ومن

ريف حلب باتجاه حلب، وتمكن المجاهدون من تحرير أجزاء من الراموسة وجزء صغير من الريف الجنوبي لحلب وأجزاء من جمعية الزهراء، حيث إن اتساع محاور المعركة شتت العدو وأضعفه ويسر تحرير تلك الأجزاء، بينما لم يكن هناك تقدم في بقية المحاور..

وكانت هذه الأجزاء التي حررت يومها تعد أكبر تحرير لأجزاء من حلب بعد سنتين من معارك تحرير حلب الأولى التي كانت في سنة ٢٠١٢م، وتعد كذلك آخر تحرير كبير داخل حلب إلى وقت معارك فك الحصار سنة ٢٠١٦م.

وقد شهدتُ في تلك المعارك -وفيما لحقها من معارك طوال السنين الماضية-، طريقة التفكير والتخطيط السائدة عند الفصائل، وهي التواكل والاتكاء على أغلى ما يملكه المجاهدون وهو شجاعتهم وقوة بأسهم وتضحية الأبطال منهم وإرخاصهم دماءهم في سبيل الله تعالى، وهذا السلاح -أعني المجاهد الحق- هو أغلى سلاح في الحروب وأفضله، بل لعله هو السبب الوحيد من أسباب الإعداد الذي أدى إلى استمرار الجهاد والثورة السورية إلى اليوم، فقد شهد الجهاد الشامي بطولات تُذكِّر ببطولات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وحفل بمواقف عظيمة لم تجد حتى اليوم من يجمعها ويدونها ويسجلها لتخلد في تاريخ عظماء البشرية..

أما التخطيط المحكم، والإعداد الحقيقي، وما يتبع ذلك من فنون الحرب، فهو مما يقرأه بعض المجاهدين والثوار فقط في الكتب وتراث الأمة العظيم؛ ولا كبير فرق بين فصيل وفصيل في ذلك، بل غالب الفروق العسكرية بين الفصائل تعود للفروق بين نوعية الجنود العاملين مع هذا الفصيل أو ذاك وشجاعتهم وتضحيتهم، ولو استغلت الثورة السورية ربع إمكانياتها الذاتية في التجهيز والإعداد لربما كان النظام النصيري وحلفاؤه اليوم خبرا من أخبار الماضي، ولشدة غرابة هذا الحال كنت أحيانا أقول: إن ما كنت أراه أيام كنت طالبا في المرحلة الثانوية من تجهيز لرحلة مدرسية من مكة المكرمة إلى الهدا بجوار الطائف مدتها ثلاثة أيام وإعداد برنامج الرحلة والسيارات والطعام والشراب والخيم والفرش ومكبر الصوت وبرنامج المشايخ الضيوف وكرة اللعب ومسابقات المشتركين والهدايا أفضل تجهيزا

من تجهيز معركة من هذه المعارك التي تدور في الساحة!..

ومن الأمور المهمة التي لاحظتها في غرفة عمليات أهل الشام ولاحظتها في جل الغرف بعدها أن الدعم الذي يأتي للغرفة هو من أهم الروابط التي تساهم في تشكيل الغرفة واستمرارها أو توقفها، فإذا جاء الدعم تشكلت الغرفة وإذا انقطع انتهت، ولا زالت مواقع الأخبار تحتفظ ببيان توفيق شهاب الدين يومها والذي ذكر فيه سبب خروجه من غرفة عمليات أهل الشام وهو أن توزيع الدعم – حسب رأيه – غير عادل..

ومسألة الدعم وعلاقتها بتقوية جبهات وإضعاف أخرى وتأثيرها على مسيرة الجهاد والثورة يأتي تفصيلها في وقت لاحق إن شاء الله.

وقد تم وقتها كتابة ميثاق لغرفة العمليات فيه كثير من الضبط والفائدة، ولكن كان في الحقيقة حبرا على ورق؛ فالعادة في غرف العمليات أن قادة الفصائل هم من يتفقون ويختلفون ويتحابون ويتباغضون ويقرون ويغيرون في كل جلسة كما يشتهون، وتكون لعوامل الدعم والقوة والتحالفات تأثيرها في تمرير أشياء أو عدم تمريرها، وقلما يلتزم فصيل بالميثاق الأول للغرفة..

ليالي حلب ٣٠

انسحاب جزء من جبهة النصرة من حلب

في النصف الأول من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٣٥هـ الموافق للشهر السابع من سنة ٢٠١٤م، فوجئنا في حلب بقرار جبهة النصرة الانسحاب من الهيئة الشرعية بحلب، والتي كانت تعد أكبر هيئة قضائية في الأراضي المحررة، ونشرت الجبهة حينها بيانا تعزو فيه خروجها لعدم الاتفاق مع الشركاء على المشروع، واشتراك بعض الشركاء في مشاريع أخرى تناقض الهيئة الشرعية، إلى غير ذلك...

وقد كان هذا القرار مفاجئا ومؤرقا فهو يعني ضمنيا أن الجبهة ستقيم مشروعا قضائيا آخر يدخل في منافسة مع العمل القضائي القديم قد تصل إلى الصدام، وقد زرت وقتها الشيخ أبا جابر الحموي المسؤول عن العمل القضائي للجبهة في حلب والدكتور مصعب أمير الجبهة بحلب وكذلك الشيخ عبد القادر فلاس أحد رموز لواء التوحيد بحلب، والشيخ أبا عبد الملك شرعي الأحرار والشيخ أبا يزن أمير الأحرار بحلب.. رحمهما الله، لمحاولة تبين التصور الحقيقي للأمر والعمل على إيجاد حلول، ولكن كانت الجبهة قد أخذت قرارها وهي في مرحلة التنفيذ لا في مرحلة التشاور والتفاوض...

وقد كانت جبهة النصرة تدعي أن مشكلتهم هي في مجلس مدينة حلب وأنه تابع للائتلاف، وأن لواء التوحيد يتبناه، وأن لواء التوحيد يريد تفريغ الهيئة الشرعية عن مضمونها فتكون الخدمات في مجلس المدينة ويقتصر عمل الهيئة على بعض أمور القضاء...

ولكن ظهر أن هذه الحجج إنما كانت للتبرير فقط، فالجبهة خرجت من الأعمال القضائية في عامة الشمال المحرر حتى المحاكم التي ليس فيها لواء التوحيد لا في مدينة حلب فقط، وبدأت تنشئ دور القضاء وهي دور قضائية لا خدمية، بل ويشارك فيها كذلك لواء التوحيد الذي خرجوا من أجله كما جرى ذلك في دار القضاء بحريتان!!

ووضح مع الأيام أن التأثر بتجربة الدواعش ونجاح الدواعش المؤقت في السيطرة على مناطق خالصة لهم وبسط نفوذهم على مواردها كان من أهم أسباب ذلك القرار، وقد انشق بعد فترة قصيرة أحد أهم القائمين على مشروع دور القضاء وقتها وهو سعد الحنيطي والتحق بالدواعش، مما يؤكد ذلك التأثير وقتها..

وتبين مع الأيام أن قرار جبهة النصرة لم يكن متعلقا فقط بالانسحاب القضائي من الهيئة الشرعية بحلب بل كانت رغبتهم أن يكون هناك انسحاب كامل لجبهة النصرة من مدينة حلب عسكريا ومدنيا؛ للتخفف من أعباء مدينة حلب على كاهل الجبهة، وهو ما عارضه بعض أفراد الجبهة في حلب، فانسحب قسم وبقي قسم في مدينة حلب، ولكنه قسم بقي مهمشا لا مشروع له في مدينة حلب، فلم تعد قيادة الجبهة متبنية لمدينة حلب من الداخل..

وقد أدى هذا الموقف من الجبهة إلى ضعف موقف الجماعات الجهادية في حلب وازدياد تأثير المنظمات العلمانية والكتائب المفسدة، وتبع ذلك تدعشن بعض أفراد الجبهة في حلب كردة فعل على تلك الظواهر، وظل أمر إهمال قيادة الجبهة لحلب على ما هو عليه إلى قبل حصار حلب بمدة يسيرة فحاول أبو عمر سراقب رحمه الله الاهتمام بمدينة حلب، ولكنها كانت محاولة متأخرة لم تستطع تغيير المعادلة بالداخل، والله المستعان.

ليالي حلب ٣١

اغتيال الشيخ أبي خالد السوري

في النصف الأول من سنة ١٤٣٥هـ وسنة ٢٠١٤م، تمكن خوارج البغدادي من اغتيال الشيخ أبي خالد السوري الذي كان معروفا في حلب وقتها باسم الشيخ أبي عمير الشامي رحمه الله، وكانت عملية الاغتيال عن طريق عميل لهم يعمل في المكتب الإنتاجي للأحرار رصد مكان الشيخ وسهل دخول الدواعش للمنطقة، فكان ما كان.

والشيخ رحمه الله كان نسمة طيبة من نسمات جيل الجهاد السابق، نشأ في طاعة الله على الجهاد وهاجر من سوريا في مقتبل عمره وشارك في أفغانستان مع المجاهدين العرب، وارتحل في عدد من البلدان، وسجن وعُذِّب، إلى أن منَّ الله جل وعلا عليه بالخروج والمشاركة في الجهاد السوري..

كانت له مكانة سامية بين المجاهدين عامة ومجاهدي أحرار الشام خاصة بسبب إشرافه على معسكر الانتساب الخاص بأحرار حلب والذي كان يسمى معسكر الغرباء، فكان المجاهد الجديد يلتقي في أول أيامه بقامة جهادية عظيمة..

ومع خبرات الشيخ المتعددة وتجاربه التاريخية إلا أن جميل خلق الشيخ وحسن تواضعه كانا أبرز المميزات الملفتة التي تشد الناس إليه.

ورغم عدم طول مدة إمارته لأحرار الشام بحلب والتي استمرت قرابة السنة إلا أن وضع الحركة تقدم كثيرا في حلب، واهتم بإنشاء المكاتب المتخصصة؛ فكان للأحرار بالسكري مكتب شرعي ومكتب إداري ومكتب تقني ومكتب إعلامي ومكتب إلكتروني ومكتب أمني ومكتب مالي ومكتب انتساب ومكتب إغاثي وكتيبة مؤازرة وعدة كتائب قتالية، في نموذج متكامل قل أن يتكرر في الثورة السورية.

وكان للشيخ رحمه الله دور بارز في كشف حقيقة عصابة البغدادي، وحاول رحمه الله كثيرا أن يصل معهم إلى تهدئة وحلول جزئية للمشاكل التي سبقت وقوع القتال الشامل ولكن كانت حماقاتهم أكبر من أن تُحتوى.

ولصلة الشيخ القديمة بالشيخ أسامة بن لادن رحمهما الله وكذلك لصلته بالدكتور أيمن الظواهري تعرض لبعض المضايقات من أفراد داخل شورى الأحرار بزعم الخوف من أن توضع أحرار الشام على قائمة الإرهاب، ولكن لم يؤثر هذا الصوت النشاذ على عطاء الشيخ رحمه الله وعلاقته القوية بجل أعضاء الشورى، واستمر في العمل والتضحية داخل الأحرار، رغم أنه عُرِض عليه وقتها من جماعة كبيرة العمل معها وأن يكون نائب الأمير العام، ولكنه اعتذر عن قبول ذلك وبقي في الأحرار ولم يتركها لأن الأحرار كما كان يقول هي مجمع كوادر ونخب المجتمع السوري.

وبعد أن ترك إمارة حلب واستلم بعده الشيخ أبو يزن الشامي توجه الشيخ أبو خالد السوري رحمه الله لتشكيل لواء عسكري داخل الأحرار، ولكن وافته المنية قبل أن يكمل الأمر.

وقد تأثرت أحرار الشام بحلب بل وتأثرت حلب كلها بوفاة الشيخ رحمه الله وكانت المرحلة التي بعده أضعف كثيرا من مرحلته رحمه الله، فالشيخ أبو يزن رحمه الله الذي أصبح وقتها أميرا للأحرار بحلب كانت عنده ردة فعل بسبب تجربة داعش فتوجه للانصهار في الجيش الحر رغبة منه أن يكون هذا الانصهار مقيما لمشروع أمة أو شعب عن طريق الإصلاح المتدرج وإقامة جيش منظم، وأصبحت له نظرة عما يُطلَقُ عليه في بعض الأدبيات "السلفية الجهادية"، وما سماه هو "أخوة المنهج"، وأطلق عبارته الشهيرة: "أخطأ فاجتهد"..

وكانت هذه الأمور النظرية غريبة على كثير من الخواص، فلا مصطلح "السلفية

الجهادية" له ذاك الرونق بين عامة الحركة الجهادية السُّنِّيَّة في العصر الحديث ولا بين عامة السلفيين كذلك، ولا كلمة "أخوة المنهج" لها معنى محدد، والانحراف في حقيقته وليد بيئة متكاملة تُنتج في اليمن حوثيين رافضة بعد أن كانوا زيدية، وتنتج في الشام خوارج بعد أن كانوا سنة، وضفادع بعد أن كانوا ثوارا، وتنتج في أفغانستان مرتزقة التحالف الشمالي بعد أن كانوا مجاهدين، وتنتج بوطيين وبرهامیين ونورسيين وأحباش وعقلانيين وقرآنيين وأحمدية وعبدة شيطان...

إن نظرة أبي يزن رحمه الله تلك لم تكن نظرة واقعية ولا مدروسة بجدية؛ فالمؤثرات الثقافية والنفسية والاجتماعية والخارجية التي أراد بالتغاضي عنها الانصهار في الجيش الحر لا يمكن حقيقة تجاوزها بموعظة عابرة أو بخطبة رنانة أو بتألف قلب عابر، يضاف إلى ذلك أن عمله على دمج الأحرار ولواء التوحيد لم يكن دمجا عاما، بل هو دمج لأحرار الشام بحلب فقط مع لواء التوحيد، وهو بذات الوقت فصل لأحرار الشام بحلب عن أحرار الشام في بقية الأماكن، فنتج عن ذلك بعض انتعاش مؤقت للواء التوحيد مع ضعف كبير لأحرار الشام بحلب، وبوادر شق للصف داخل أحرار الشام بشكل عام، ثم كانت فاجعة استشهاد قادة الأحرار التي نتج عنها استشعار عامة الأحرار بضرورة تماسك الجماعة، فنهضت إثر ذلك أحرار الشام بحلب بعض الشيء.

ليالي حلب ٣٢

إعلان ميثاق الشرف الثوري

في النصف الأول من سنة ١٤٣٥هـ الموافق للنصف الأول من سنة ٢٠١٤م خرج ميثاق الشرف الثوري ووقع عليه الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام وفيلق الشام وجيش المجاهدين وألوية الفرقان والجبهة الإسلامية، وذكروا فيه أن سبب خروج هذا الميثاق هو إدراك القوى الثورية لخطورة المرحلة التي تمر بها الثورة المباركة، ومما ورد في الميثاق:

"- ضوابط ومحددات العمل الثوري مستمدة من أحكام ديننا الحنيف بعيدا عن التنطع والغلو..

- نرحب باللقاء والتعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية المتضامنة مع محنة الشعب السوري بما يخدم مصالح الثورة..

- قوانا الثورية تعتمد في عملها العسكري على العنصر السوري..

- يهدف الشعب السوري إلى إقامة دولة العدل والقانون والحرية..".

وقد كان هذا الميثاق محاولة من الموقعين عليه لجمع الثوريين على إسقاط النظام النصيري وقطع الطريق على الحلول السياسية، ولم يأخذ الميثاق حظه من المدارسة في شورى أحرار الشام قبل التوقيع؛ حيث عرضه الشيخ أبو عبد الله الحموي رحمه الله على الشورى في غرفة سكايب وطلب ردا سريعا على توقيعه، فجاءته الموافقة ووقع عليه، لذا لم يخل الميثاق من بعض الملاحظات، والتي منها:

- استخدم الميثاق عبارات لها في واقعنا الثقافي معان موهمة تؤدي لخلط الحق بالباطل، ورغم أن الميثاق بدأ بعبارة "ضوابط ومحددات العمل الثوري مستمدة من أحكام ديننا الحنيف" إلا أن هذه العبارة ليست أقوى من عبارات ترد في دساتير الدول التي تحكم الشعوب الإسلامية اليوم مثل: "دين الدولة الإسلام"، "دين رئيس الدولة الإسلام"..، فعبارات مثل: "التعاون مع الأطراف الإقليمية"، "دولة القانون والحرية"، "العنصر السوري"،

لها تفسيرات كثيرة متناقضة..

– أن حديث الميثاق عن الدولة بعد سقوط بشار والأقليات هو استعجال، فلا زال الطريق طويلا، فالساحة الشامية لا تعاني من فشل في إدارة الدولة، بل تعاني من فشل في إدارة فصيل، والساحة الشامية لا يؤرقها التنوع العرقي والطائفي، بل يؤرقها تشرذم الفصائل، وواجب المرحلة البحث في إيجاد آليات جادة للانتفاع من موارد المحرر، أو تطوير سلاح، أو وضع منهج دراسي لا علماني، أو توفير راتب لمجاهد..

– أن هذا الميثاق خرج بعد شهور قليلة من مفاصلة الدواعش وما نتج عن ذلك من اضطرابات فكرية وشُبَه، ومعلوم أن الهدم أسهل من البناء، ومخاطبة عموم المجاهدين بما يفقهون خير من إعانة الشيطان عليهم، فتأثير مثل هذه البيانات على الجنود أكبر من تأثيرها في عالم السياسة.

– وجود تهويل في قيمة مثل هذه البيانات وأنها ضرورة تحقق مصالح وتدرأ مفاسد..، وكل هذا بعيد عن الواقع، ومع الأيام يتضح أنه لا كبير فائدة في مثل تلك البيانات، فلم يغير ميثاق الشرف شيئا في واقع المعركة ولا جمع الجهود في سبيل الإطاحة بالنظام النصيري.

* وقد كتبت يومها تعليقا على الميثاق اسمه: "ميثاق الشرف الثوري.. خطوة للوراء وأخرى للمجهول"، ووصل لأغلب قيادات الحركة، ومع ذلك ظلت علاقتي بهم جيدة فاختلاف وجهات النظر في مثل تلك الأمور دليل وعي وبعد عن الحزبية المقيتة التي تدافع عن الفصيل وتطبل له في كل الحالات..

= وقد كثرت التعليقات يومها على هذا الميثاق بين مؤيد ومعارض؛ فالدواعش الخوارج اعتبروه دليلا قاطعا على الردة، وبعض الفصائل السُّنِّية كجبهة النصرة أوردت ملاحظات

عليه، والائتلاف العلماني اعتبره خطوة في طريق الديمقراطية..

* فمما ورد في بيان جبهة النصرة حول ملاحظاتهم على الميثاق: "- عدم الوضوح والانضباط والتحديد في بيان مبادئ هذا الميثاق..

- اقتصاره على محاربة الغلو والتنطع وإهماله لمحاربة الإفراط..

- نص الميثاق على اللقاء والتعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية المتضامنة مع محنة الشعب السوري بما يخدم مصالح الثورة، فأطلق ولم يخصص عن أسمائها أو موقفها وحالها من الإسلام والمسلمين في شتى البقاع، وعن دورها وأهدافها من الثورة السورية الإسلامية المباركة ونتائجها، وعن صور هذا التعاون واللقاء وما يدور فيه من أحاديث، فإننا نعلم أن هذه الأطراف الإقليمية لا تعمل إلا على محاربة الإسلام وأهله والوقوف في وجه عودة الخلافة الراشدة..".

* ومما ورد في بيان الائتلاف: "يدعو الائتلاف الوطني السوري سائر القوى والفصائل العسكرية والثورية إلى التوقيع على الميثاق.. المرحلة القادمة من مستقبل سورية هي عهد للحرية والعدالة وسيادة القانون في ظل دولة ديمقراطية تعددية..".

ليالي حلب ٣٣

استشهاد قادة حركة أحرار الشام الإسلامية

في يوم الثلاثاء الحزين ١٥ ذي القعدة ١٤٣٥ هـ الموافق ٩ – ٩ – ٢٠١٤ فجعت الأمة الإسلامية برحيل كوكبة من خيرة مجاهديها الأبطال الذين جددوا للأمة كثيرا من معاني العزة والمنعة، فقد وقع في ذلك اليوم الانفجار الغامض الضخم برام حمدان والذي أدى لاستشهاد جل قادة حركة أحرار الشام الأول وكثير ممن كان يرافقهم أثناء عقدهم اجتماعا للشورى في المقر المحصن لأبي أيمن رام حمدان، رحمهم الله جميعا.

وقد كان هذا الحادث الأليم ولا زال من أبرز حوادث الثورة السورية كلها وأغمضها وأخطرها، فهو ضربة جماعية لأكبر وأقوى جماعة في الثورة السورية وقتها، وقضاء على أفضل القيادات الشرعية والعسكرية السورية التي شهدتها الساحة..

والتصور الأقرب للحادث أنه وقع عصر يوم الثلاثاء بعد عدة ساعات من بدء اجتماع الشورى عبر انفجار برميل سليلوز في مستودع الذخيرة الموجود في نفس المقر والمتواجد في الجهة اليسرى من المكان والتي لا يفصل بينها وبين الجهة اليمنى التي كان فيها الاجتماع سوى ممر صغير، وقد نتج عن هذا الانفجار انفجارات متتالية لبقية المواد والذخائر المتواجدة في المستودع، ووقوع حريق في الممر الوحيد الذي يصل الداخل بالخارج، ودخول غازات سامة لغرفة الاجتماع التي لم يكن لها طريق خروج سوى من الممر المحترق؛ فاستشهد بالاختناق جل من بغرفة الاجتماع من القادة واستشهد بالاحتراق جل من في الممر من مرافقة القادة، رحمهم الله جميعا.

وقد وقعت عدة تحليلات للحادث منها:

١- أن الحادث من فعل الدواعش، الذين يتربصون بالمجاهدين وقادتهم ويحاولون اختراق تنظيماتهم، وهذا لا دليل عليه، ولو كانت لهم صلة به لطاروا به في المشرق

والمغرب.

٢- أن الحادث من فعل المخابرات الدولية، ويستأنس لذلك بـ:

- الدقة والاحترافية التي وقع بها التفجير.

- أنه وقع قبل أيام قليلة من بدء حملة قصف التحالف الدولي الصليبي لدولة البغدادي وجبهة النصرة في سوريا، فكأن المخابرات الدولية أرادت كسر شوكة الجماعات الثلاث الأكبر عبر الاغتيال ثم القصف.

- أنه وقع يوم الثلاثاء ٩ - ٩، ومعلوم أن من أكبر الصفعات التي أخذها الغرب تفجيرات واشنطن ونيويورك يوم الثلاثاء ١١ - ٩ (الحادي عشر من سبتمبر) سنة ٢٠١١، والغرب يعتني بالذكريات السنوية ومنها تلك الذكرى، فلو وقع الاغتيال يوم ١١- ٩ لكان دليلا مؤكدا عليهم، فاختاروا تفجير اجتماع رام حمدان في نفس يوم الثلاثاء ولكن قبل اليوم الحادي عشر بيومين.

- أنه وصلت للقادة هواتف من الإمارات، قد يكون لها دور في تحديد مكان تجمعهم.

٣- أن الحادث قضاء وقدر لا تخطيط لبشر فيه.

*** أيًّا ما كان فقد نفذ قضاء الله جل وعلا ووقع المكتوب في اللوح المحفوظ واستشهد هؤلاء القادة الأول:

- الشيخ أبو عبد الله الحموي.
- الشيخ أبو عبد الملك الشامي.
- الشيخ أبو سارية.
- الشيخ أبو يزن.
- الشيخ أبو أيمن.
- الشيخ أبو حمزة الرقة.

- الشيخ أبو يوسف بنش.
- الشيخ أبو الخير طعوم.
- أبو طلحة الغاب.
- أبو أيمن رام حمدان.
- أبو الزبير الحموي.
- محب الدين الشامي.

وغيرهم من الأفاضل رحمهم الله جميعا..

***** ولعل اختيار الله جل وعلا لهم الشهادة الجماعية ذلك اليوم هو:**

= تكريم لهم قُبيل حلول المدلهمات والنوازل والفتن التي انقسم الناس فيها بين ناج وهالك وضائع؛ كتدخل التحالف الصليبي وما تبعه من تنسيق للبعض مع طيرانه أو طيران بعض دوله ضد بعض المسلمين، وكالهزائم الكبيرة التي أدت لسقوط مناطق شاسعة، وكالقتال الداخلي بين الفصائل، وكالمؤتمرات الدولية والحلول السياسية التي فتنت الكثيرين، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون"..

= ختم لتجربة الأحرار الأول بنهاية مشرقة تكون ملهمة للأجيال، فرغم أن عمر الحركة يومها منذ كانت كتائب أحرار الشام إلى وفاة القادة لم يتجاوز السنين الثلاث إلا أنهم:

- استطاعوا تقديم النموذج الأفضل في الثورة السورية لجمع الكلمة وتوحيد الصف والتعاون على البر والتقوى.
- واستطاعوا تقديم القدوة الحسنة للبذل والتضحية والدفاع عن المسلمين، فكان لهم السهم الأعلى والنصيب الأوفر في صد عادية النصيرية ومن والاهم.
- واستطاعوا تقديم البيئة الأنسب التي كانت مهوى أفئدة كوادر الثورة السورية.
- واستطاعوا تقديم التجربة الأوعى للجمع بين الجهاد المنضبط والسياسة الشرعية.
- واستطاعوا تقديم الصورة الأجمل للمجاهد مع مجتمعه، فكانت لهم المحبة الأكبر في قلوب أهل الشام.

استطاعوا ذلك بفضل الله تعالى خلال السنين الثلاث التي مرت وقتها من عمر الثورة، ولكن كما أن للإنسان عمرا فإن للجماعات والتنظيمات والدول عمرا، ولقد كانت أحرار الشام في الشهور الأخيرة قبل استشهاد القادة رحمهم الله تعاني تحديات كبرى في: نازلة الخوارج، وفي التآمر الدولي، وفي الكيد الذي أدى لتفكك مشروع الجبهة الإسلامية بعد أن كان أملا كبيرا يعول عليه القادة الشهداء، بل وفي بوادر تنوع رؤى وتيارات داخل الحركة، وهي أمور نزلت بعموم الساحة وأصابت الجميع ومن ضمنهم الأحرار، فكانت حركة الأحرار في آخر شهور أولئك القادة رغم مسارعتهم للعمل ووضعهم خطط إصلاح إلا أن تشابك الوضع وقتها أصابهم بشيء من الشلل ولم يجعلهم قادرين على الخروج بالأمة من عنق الزجاجة، فشاء الله أن يقبضهم على صالح عملهم أمام تلك الحالة الجهادية الثورية التي تحتاج علاجا طويلا؛ فتنتقل ثورة الشام إلى مرحلة جديدة من الصواب والخطأ والتقدم والتقهقر والثبات والتذبذب، وتتعالج بعض الأمراض مع طول الزمن، ولعل الله أن يقيض للجهاد الشامي في قابل أيامه القريبة قادة يجمعون بين القوة والأمانة فينتفضون بالثورة من جديد ويجددون معاني الجهاد بشموله وكماله وتعود حينها بإذن الله حلب وحمص والغوطة، وتفتح حماة ودمشق واللاذقية، وما ذلك على الله بعزيز.

استشهد قادة أحرار الشام فرثاهم القريب والبعيد والموافق والمخالف، وظهر الحب العميم لتلك الثلة المباركة عليها رضوان الله تعالى.

ليالي حلب ٣٤

تدخل التحالف الدولي الصليبي في سوريا

في آخر شهر ذي القعدة من عام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣ – ٩ – ٢٠١٤م بدأ طيران التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا والذي يتخذ من قاعدة إنجرليك بتركيا مركزا له بضرب أهداف في سوريا بزعم حرب الإرهاب، وكان هذا التدخل الأمريكي هو أول تدخل دولي ميداني في الحرب بسوريا ثم تبعه التدخل الروسي بعد عدة شهور.

وكانت ضربات التحالف الصليبي تستهدف أماكن سيطرة دولة البغدادي بدعوى حرب تنظيم الدولة، وتستهدف كذلك أماكن سيطرة المجاهدين والثوار بدعوى حرب تنظيم القاعدة، والحقيقة أن الهدف هو كما قال تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا".

فأما بالنسبة لقصف طيران التحالف الدولي في الأماكن المحررة وبعد مراجعة التقارير الإعلامية المتعلقة به، فقد مر بمراحل هي:

المرحلة الأولى: من الشهر التاسع ٢٠١٤ إلى الشهر السابع ٢٠١٦:

وأبرز أحداث هذه المرحلة هي:

– استهداف أبي يوسف التركي القناص وأبي هاجر المصري في الشهر التاسع ٢٠١٤.

– في الشهر الأول ٢٠١٥ تم استهداف أبي خديجة الجولاني وأبي عمر الحموي.

– ثم في الشهر الثالث ٢٠١٥ تم استهداف محسن الفضالي وعبد المحسن الشارخ "سنافي النصر" وهما من الجزيرة العربية.

– ثم بعد عدة أشهر وفي الشهر السابع ٢٠١٥ تم استهداف مجموعات للجبهة قرب إعزاز إثر هجوم الجبهة على مقرات الفرقة ٣٠ المدعومة أمريكيا.

– ثم في الشهر التاسع ٢٠١٥ تم استهداف حمزة الفرنسي وأبي قتادة التونسي..

– ثم بعد عدة شهور في الشهر الرابع ٢٠١٦ تم استهداف أبي فراس السوري..

– ثم بعد أيام في نفس الشهر تم استهداف رفاعي طه وأبي عمر المصري.

– ثم بعد قرابة الشهر تم استهداف اجتماع لقادة في جبهة النصرة بمطار أبو الظهور واستشهد عدد من الحاضرين..

* والملاحظ: في هذه الفترة أن الاستهداف كان مركزا في أغلبه على قيادات وكوادر مهاجرة لها تجربة جهادية، والتسويق لذلك إعلاميا بأنه استهداف "لمجموعة خراسان" التي روج التحالف الصليبي على أنها جزء متمايز داخل جبهة النصرة.

المرحلة الثانية: من الشهر السابع ٢٠١٦ عند تشكيل جبهة فتح الشام إلى نهاية الشهر الأول ٢٠١٧م عندما تم حل جبهة فتح الشام وتشكيل هيئة تحرير الشام:

في هذه المرحلة تم إعلان فك الارتباط بتنظيم القاعدة إعلاميا، ولكن ظلت قيادة الجبهة مرتبطة تنظيميا في السر بالقاعدة..

وأبرز أحداث هذه المرحلة هي:

– في الشهر الثامن ٢٠١٦ تم تدمير جسر خان طومان أثناء معركة فك الحصار الأولى عن حلب وكان الجسر يعد طريقا رئيسيا لجبهات حلب وأحياء حلب المحررة بعد فك الحصار الأول عن حلب.

– في الشهر التاسع من عام ٢٠١٦ وأثناء الإعداد لمعركة فك الحصار الثانية عن حلب تم استهداف أبي عمر سراقب.

– ثم في الشهر العاشر من نفس السنة تم استهداف أبي الفرج المصري وناصر الفلسطيني.

– ثم في الشهر الحادي عشر من عام ٢٠١٦ تم استهداف أبي الأفغان المصري.

– ثم في الشهر الأول ٢٠١٧ وأثناء الحديث عن اندماج لجل فصائل الساحة تسارعت وتيرة الاستهداف فتم استهداف خطاب القحطاني وأبي المعتصم الديري وأبي عمر التركستاني وعشرة آخرين في الأول من الشهر الأول ٢٠١٧.

– ثم تم استهداف سجن تابع لدار القضاء في الثالث من نفس الشهر واستشهد في

هذا القصف العشرات من المساجين والعاملين في المكان.

– ثم تم استهداف أبي الحسن تفتناز وابنه وثالث معهما.

– وفي ١١ من نفس الشهر تم استهداف ١٤ شخصا، وبعد يوم تم استهداف أربعة أشخاص، وبعد خمسة أيام تم استهداف أبي إبراهيم التونسي..

– أما في العشرين من نفس الشهر الأول فقد تم استهداف معسكر تدريب للمنتسبين الجدد في الشيخ سليمان واستشهد في هذا القصف أكثر من مائة مجاهد.

– وبعد يومين تم استهداف مدجنة في النيرب وشخصين آخرين.

* والملاحظ في هذه الفترة: أن القصف في الشهور الأولى منها كان يعتني باستهداف القيادات الحقيقية التي تؤثر ميدانيا على الساحة ممثلة في أبي عمر سراقب وأبي الفرج المصري رحمهم الله، وهذه طريقة من الطرق الأمريكية المعروفة في الحروب والتي تسعى لقتل أهم الرؤوس المؤثرة ليسهل التعامل مع بقية الجسد، وكانوا يهدفون كذلك لمساندة الروس في معركة حلب.

*كما يلاحظ أن الاستهداف في الشهر الأول من عام ٢٠١٧م كان أشمل وأوسع ولا يستهدف فقط القادة المؤثرين والمهاجرين بل امتد ليشمل حتى أعدادا كبيرة من الجنود السوريين بهدف النكاية في جسم الجماعة والتأثير على مشاورات الاندماج..

المرحلة الثالثة: من نهاية الشهر الأول ٢٠١٧م عندما تم تشكيل هيئة تحرير الشام إلى وقتنا هذا في الشهر السابع ٢٠١٩ :

في هذه المرحلة تم فك الارتباط السري لفتح الشام بتنظيم القاعدة وتشكيل هيئة تحرير الشام..

وأبرز أحداث هذه المرحلة هي:

– كان أول استهداف بعد تشكيل هيئة تحرير الشام في الشهر الثاني ٢٠١٧ هو لأبي هاني المصري، وهو من الكوادر المجاهدة القديمة ولكنه كان محسوبا على حركة أحرار الشام لا على هيئة تحرير الشام.

– ثم كان استهداف أبي الخير المصري ومن معه في ٢٦– ٢– ٢٠١٧، ولم يكن وقتها محسوبا على هيئة تحرير الشام، بل على تنظيم القاعدة.

– وفي ١٦ مارس ٢٠١٧ قصف التحالف الصليبي مسجدا في قرية الجينة يتجمع فيه أفراد جماعة التبليغ والدعوة المشهورة عالميا والتي لا تصنف على قوائم الإرهاب الأمريكية، واستشهد في هذا القصف ما لا يقل عن ٦٠ شخصا.

– وفي نفس الشهر الثالث من عام ٢٠١٧ تم استهداف أبي العباس الحسكاوي، وهو مجاهد قديم لكنه فقد بصره في السجن فكان يسمى أحيانا الضرير، وكذلك تم استهداف أبي جابر الحموي ومن معه، وكلاهما من هيئة تحرير الشام.

– ثم توقف قصف التحالف الدولي على إدلب لأكثر من سنتين ليعود في الشهر السابع ٢٠١٩م بقصف معهد شرعي كان يتواجد فيه عدد من شرعيي تنظيم حراس الدين إثر مشاكل بينهم وبين قيادة التنظيم أدت لفصلهم من التنظيم وكانوا في اجتماع للنظر في أمرهم.

* والملاحظ في هذه الفترة أن الأولوية في القصف لمن هم خارج هيئة تحرير الشام، وأن الاستهداف بشكل عام لم يعد لوتيرته في المرحلتين السابقتين..

= وبالعموم فإن أبرز السمات التي يمكن ملاحظتها في طريقة عمل التحالف الدولي في مناطق المجاهدين:

– أن الأصل في الجهاد الشامي ضعف الأمنيات وإمكانية استهداف كل الشخصيات، ودعوى وجود احتياطات تقنية عند استخدام الهواتف أو الكمبيوترات أو القبضات غير صادقة، فكل من يتواصل ببعض تلك الأجهزة هو أو مرافقه أو جليسه أو أهل بيته فهو في دائرة الاستهداف، بل إن المتتبع للإعلام وما ظهر فيه مرارا من تسريبات للقبضات ومن تحديد لمواعيد اجتماعات قادة الفصائل بل ونشر لأخبار تلك الاجتماعات قبل انتهائها، يعلم مدى الأُمية الأمنية التي تحيط بنا، يضاف إلى ذلك أن العدو يستخدم عملاء له على الأرض يرسلهم لأهداف محددة كما جرى في استهداف

أبي عمر سراقب الذي تم كشف الجاسوس الذي دل التحالف عليه.

– يكون اختيار التحالف للشخصيات المستهدفة وفق رؤى وأهداف يريدونها بناء على دراسة تاريخ وحقيقة كل شخصية وإمكانياتها، ووفق كذلك الهدف من القصف أهو الإضعاف أم النكاية أم إثبات الوجود أم الضغط للتنازل أم لزرع الخلاف بين المجاهدين...

– أنه لا خطوط حمراء للتحالف الدولي؛ فقد يستهدف قادة وقد يستهدف جنودا وقد يستهدف محاكم وقد يستهدف مساجد...

– أن التحليلات التي تنتشر عن أسباب توقف قصف التحالف الدولي في فترة ما لا يمكن التعويل عليها كثيرا ولا الاطمئنان لها؛ فالأمر متعلق بحسابات دولية وداخلية سرية في مجملها.

ليالي حلب ٣٥

التعامل مع ال ب ك ك في عفرين

في شهر ١١ من عام ٢٠١٤ جرت مفاوضات بين الجبهة الإسلامية بحلب – وهي اندماج لواء التوحيد وأحرار الشام بحلب – مع حزب ال ب ك ك في عفرين لتجديد هدنة كانت قائمة بين الطرفين، وقد كانت لي صلة جيدة بأحد المعنيين بالملف، فأرسل لي مقترح الهدنة قبل توقيعها فوجدته مقترحا سيئا ينص على "السماح بالنشاط الفكري والسياسي في مناطق الطرفين وبما يخدم مصلحة الأمة والشعب ولزيادة الوعي الثقافي والفكري"، و"السماح للمكاتب الشرعية والثقافية الفكرية والإغاثية للنشاط بحرية وبما يخدم مشروع الهدنة ومصالح الأمة والشعب"، و "المرور في طرقات الطرفين... بما يخدم مصلحة القتال ضد النظام النصيري وضد العصابات المسلحة"..

وقد وفقني الله فأنكرت هذا المقترح لأمور عديدة منها أن التسوية بين الطرفين في السماح للأنشطة الفكرية والسياسية يعني السماح للشيوعيين والعلمانيين بنشر نشاطهم في مناطقنا، وكذلك لحرمة إعانة الكافر على المسلم ولو كان فاسقا وأن المسلم الفاسق نأخذ نحن على يديه لا الكفار، وأن القتال بين الـ ب ك ك والدواعش قتال بين كافر ومسلم ظالم في قتاله لنا لا في قتاله لهؤلاء الكفار، ولا يخفى الفرق الجلي والبون الشاسع بين أحكام استعانة المسلم بالكافر وحكم إعانة الكافر على المسلم، وأرسلت الإنكار، فتم العدول عن ذلك والحمد لله رب العالمين.

ثم بعد قرابة الثلاثة شهور تم عقد اتفاق بين الجبهة الشامية وال ب ك ك "وحدات حماية الشعب ypg" ينص على:

[أولا– توحيد النظام القضائي لدى الطرفين ليشمل جميع المحاكم والحكم بشرع الله.

ثانيا: فتح مكاتب شرعية ودعوية لدى الطرفين ومتابعة شؤون المساجد بما فيها إقامة صلوات الجمعة وخطبها في حلب ومنطقة عفرين وقراها.

ثالثا: ملاحقة المفسدين والمسيئين أينما كانوا لمحاسبتهم وإعادة الحقوق لأهلها وتأمين الأمن والأمان في المناطق المحررة]..

وقد كانت موافقة ال ب ك ك على هذه الصياغة في الاتفاق رغم أنه حزب مرتد كافر خرج من الإسلام لتلبسه بنواقض عديدة مثل عبادة الشيطان والشيوعية والديمقراطية والقومية والحكم بالطاغوت والموالاة المكفرة لليهود والنصارى ومحاربة الإسلام.. دليل على ضعف مرحلي يمر به الحزب في منطقة عفرين، صحيح أن هذا الاتفاق كان حبرا على ورق وظلت محاكم الحزب في عفرين تحكم بالطاغوت ولم يسمحوا بأي نشاط إسلامي في عفرين، ولكن كانت الفرصة في هذه المرحلة قائمة لوضع رؤية للتعامل مع ال ب ك ك في هذه المنطقة وفي منطقة الشيخ مقصود في حلب؛ حيث إن وجودهم في تلك المنطقتين كان له تأثير مباشر على الصراع في حلب وريفها؛ فعفرين هي رئة نبل والزهراء المقطوع طريقهما عن حلب المحتلة، والشيخ مقصود مطلة على طريق الكاستيلو الذي يصل حلب المحررة بريف حلب، وتوسيع الطريق وتأمينه يقتضي تحرير الشيخ مقصود من يد ال ب ك ك.

وقد كان تعامل كثير من الفصائل وقتها مع ال ب ك ك مذبذا، فحينا تتطور العلاقة لشراكة تجارية مربحة بين المنطقتين مع اعتبارها منطقة آمنة من القصف تأوي لها كثير من عوائل حلب بل وعوائل بعض القيادات، وحينا تتوتر العلاقات ويتم إغلاق الطرق وتوقيف كل طرف لعدد من المحسوبين على الطرف الآخر..

حينا كان يُنظر لل ب ك ك على أنه عدو يجب تحييده وتأجيل قتاله، وحينا يُنظر على أن تحرير الشيخ مقصود ضرورة لحماية حلب المحررة من الحصار.

وقد ظل تردد الثوار في اعتماد سياسة واضحة هو السائد في تلك الأيام، إلا أن ال ب ك ك كانوا يعملون بخبث للتآمر على الثورة؛ فقد نشأ بعد عدة شهور جيش الثوار ككيان غريب مشبوه يتواجد في الأماكن المحررة، وزعم في البدايات أنه على خلاف مع ال ب ك ك، بل وبدأ يتحرك تحركات غريبة فاتخذ مقرات في السكن الشبابي مطلة على الكاستيلو ووضع دشما مطلة على الطريق وظهرهم لل ب ك ك في الشيخ مقصود، ويعلم أي عسكري ينظر لتلك المقرات والدشم أنها معدة لقطع طريق الكاستيلو، فتواصلت الفصائل معهم، وطلبوا منهم الخروج من هذه المنطقة المهمة، فخرجوا ولكن إلى منطقة الهُلك المحررة والمطلة على الشيخ مقصود أيضا، وكذلك فعلوا في المنطقة بين إعزاز وعفرين اتخذوا

مقرات في المنطقة المحررة تكون امتدادا لعفرين وخط وصل مع ال ب ك ك.

ثم لما جاءت الحملة الثانية للرافضة لوصل طريق حلب المحتلة بنبل والزهراء وتمكنوا من ذلك، أظهر ال ب ك ك مطامعهم واستولوا بالقتال على عدد من المناطق المحررة في ريف حلب الشمالي مثل منغ وتل رفعت وغيرهما وحاولوا التقدم لإعزاز.

وعندها بدأت مرحلة جديدة من المواجهة مع ال ب ك ك في عفرين والشيخ مقصود يأتي الحديث عنها لاحقا إن شاء الله.

ليالي حلب ٣٦

مبادرة مجلس قيادة الثورة

من المبادرات التي ظهرت في الساحة السورية نهاية عام ٢٠١٤م مجلس قيادة الثورة، وهو تجمع ضم أكثر فصائل الثورة السورية العسكرية يهدف إلى إنشاء مجلس من الداخل والخارج يكون واجهة وممثلا للثورة عسكريا وسياسيا ومدنيا، وهو استجابة لمبادرة "واعتصموا" التي تهدف لتوحيد الفصائل السورية في جسم موحد للثورة، وتضمنت اللجنة التحضيرية لهذه المبادرة الشيخ ياسين علوش ود. عبد المنعم زين الدين وحسن الدغيم.. وغيرهم، ووقعت على المبادرة كثير من الفصائل؛ مثل: جيش الإسلام وصقور الشام وفيلق الشام وحركة حزم وحركة نور الدين الزنكي وجبهة ثوار سوريا وهيئة دروع الثورة والاتحاد الإسلامي لأجناد الشام..، وغيرهم.

وبما أن مجلس قيادة الثورة هو انبثاق عن مبادرة أطلقها مشايخ فقد أكد المجلس على أن: "جميع الأنظمة والقوانين تستمد من أحكام الدين الإسلامي الحنيف".

ويقوم المجلس على عبارات فضفاضة، مثل: "إرساء قيم مشتركة تحظى بإجماع وطني، تنتهي بموجبها كافة مخلفات النظام الفاسد"، "تأسيس قوة مركزية من الفصائل الثورية لحماية الشعب وتحقيق أهداف الثورة، تتبع لمجلس قيادة الثورة"، "كافة موارد البلاد العامة ملك للشعب السوري، ويوكَل إلى مجلس قيادة الثورة إدارتها إلى حين تسليمها للحكومة الشرعية"...

والذي ظهر أن مشروع مجلس قيادة الثورة هو ككثير من المشاريع الحالمة البعيدة عن الواقع، فليست عنده رؤية حقيقية ولا خطوات عمل صالحة، وهو في محصلته تأطير للفصائل تحت جهة محددة ضعيفة لها ارتباطات خارجية مريبة.

وقد اختير وقتها لرئاسة هذا المجلس "قيس عبد الله الشيخ" الذي عمل قاضيا في محاكم الدولة السورية سابقا وعمل كذلك في المحاماة وعمل في مشاريع تقنين بعدة دول وشارك كذلك في جلسات بجامعة الدول العربية لوضع قوانين منها قانون الإرهاب، وهو

عضو الائتلاف السوري.

وبالفعل ما هي إلا شهور قليلة وخبا نجم هذا المشروع الجديد ثم انطفأ تماما، دون أن يقدم أي تقدم أو خطوات عملية على الأرض خلال تلك الشهور، خلافا لكثير من تجارب التقارب والتوحد التي كانت تخطو عدة خطوات وتحقق بعض الإنجازات ثم ينتهي أو يضعف المشروع –بسبب عوامل عديدة– بعد مدة من النجاح.

لقد كان الائتلاف الوطني ذو الشعارات العلمانية يحاول وقتها اختراق الثورة في الداخل عن طريق إيجاد مرجعية مشتركة لا مانع لديها من النص على أن الأنظمة والقوانين تستمد من "أحكام الدين الإسلامي الحنيف"، ويستغل هذا الاختراق في تمرير مشاريعه السياسية والانهزامية..

وقد ظهر مع الأيام عندما دخل الائتلاف الوطني للداخل السوري على متن الدبابات التركية كيف أنه لم يلتزم بمرجعية الشريعة الإسلامية وجعل مرجعيته القانون الوضعي السوري، وأنشأ جيشه الوطني المؤطر دوليا لتنفيذ المهام الموكلة له في إطار الحل السياسي، وللأسف فإن الذين وضعوا مبادرة واعتصموا وأكدوا فيها على مرجعية الشريعة لم يهتموا بشكل مناسب بطامة تحكيم القوانين الوضعية في الداخل السوري على يد حكومة الائتلاف التي بارك كثير منهم جهودها وجيشها الوطني.

وقد كان مركز ثقل الجيش الوطني في مناطق درع الفرات وغصن الزيتون، إلا أنه استطاع هذه الأيام ضم الجبهة الوطنية العاملة في إدلب لتشكيله، ليضع الساحة أمام تساؤلات واحتمالات عديدة..

إن انضمام الجبهة الوطنية للجيش الوطني منكر كبير، ولكن لا بد من وضع رؤى وتصورات عملية حقيقية لتدارك الوضع..

ومن الظلم تخيير الفصائل والمجاهدين والثوار في إدلب بين خيارين لا ثالث لهما؛

فإما السير خلف من لا ثقة لهم فيه البتة ولا في قدرته على الدفاع عن المنطقة والزعم زورا أن هذا هو الإسلام، وإما الارتماء في حماية الدول الداعمة، ومن اختار طاعة لله تعالى – الذي أمر بالجهاد في سبيله حق الجهاد– غير هاتين الوسيلتين فهو شاق للصف مهدور الدم!! أو في أقل الأحوال متحرش به مضيق عليه!!، وهذه جناية عظيمة في حق الساحة..

إن النظر بعين التأمل لما فيه مصلحة الأمة والجهاد يقتضي توسيع النظر في خيار ثالث حقيقي يفتح أملا للغالبية التي لا تجد نفعا في تلك الثنائية الظالمة، وينتشل كثيرا من الطوائف من براثن فساد الخيار الثاني، ليكون مشروع الجهاد والثورة فوق الحزبية الضيقة والشخصنة المقيتة، ورحم الله محمد البشير الإبراهيمي، إذ يقول: "من كتم داءه قتله، وقد آن أن نعلن داءنا ونعترف بنقائصنا، وإن لم يكن لنا فضل المعترف فقد فضحنا الزمان قبل أن نفيء إلى أنفسنا".

ليالي حلب ٣٧

تقدم العدو في أطراف حلب باتجاه نبل والزهراء

كانت حملة الجيش النصيري في أطراف حلب "دبيب النمل" تسير في سنة ٢٠١٤ م بشكل بطيء ولكنه مخيف، ففي كل شهرين يتقدمون إلى منطقة ثم يتمترسون بها ويصدون الهجوم المضاد ثم يعيدون ترتيب صفوفهم لينطلقوا إلى المنطقة التالية، وقد كان طريقهم في تلك المرحلة ينطلق من البريج للمنطقة الصناعية لحيلان، حتى فك العدو الحصار عن سجن حلب المركزي في آخر النصف الأول من عام ٢٠١٤م، وكانت هناك جهود كثيرة في تلك المرحلة لصد تقدم العدو، ولكنها كانت جهود متفرقة ليست لها إستراتيجية واضحة، وقدمت أحرار الشام والمهاجرون والأنصار والجبهة وغيرهم من الفصائل جهود في ذلك ولكن دون أن يؤدي ذلك لتوقف تقدم العدو، وكانت الروح المعنوية لكثير من المجاهدين في حلب بتلك المرحلة في حالة غير جيدة.

في العشر الأول من ذي الحجة وفي يوم عرفة تحديدا سنة ١٤٣٥هـ (٣ – ١٠ – ٢٠١٤م) قام العدو النصيري بالتسلل واختراق صفوف المجاهدين في خطوة مفاجئة أدت لقطع طريق "حلب حندرات – ريف حلب الشمالي" وأقام العدو حاجزا عسكريا على الطريق فاستطاع الإيقاع بكثير من المجاهدين والمدنيين، وتقدم العدو كذلك على أطراف منطقة الملاح، ثم انتبه المجاهدون فخرجت المؤازرات واستطاعوا إرجاع العدو بعض الشيء من طرف الملاح، ولكن بقي طريق الريف الشمالي المختصر بيد النصيرية وبقي للريف الشمالي طريق واحد هو الطريق الدولي.

* لقد اختار العدو سلوك طريق حيلان – السجن المركزي ثم توجه بقوة وكثافة جهة القرى التي تصله بنبل والزهراء لفك الحصار عنهما مع تضييق الخناق على حلب، ولكنه لم يعمل في تلك المرحلة بنفس القوة والكثافة على حصار حلب والتقدم جهة الكاستيلو، رغم أن الطريق لنبل والزهراء أطول كثيرا من المسافة المتبقية لحصار حلب؛ حيث لم يكن

يفصل بينه في تلك المرحلة وبين حصار حلب المحررة سوى خمسة كيلو مترات فقط؛ وقد تعددت التحليلات التي تفسر عدم عمله بنفس القوة على حصار حلب في تلك المرحلة؛ فقيل:

– إنه لم يكن يرغب في الدخول لحرب استنزاف بالمدن، ويستخدم الأرض المحروقة في تلك القرى المتناثرة فالسيطرة عليها أسهل من السيطرة على أجزاء من المدينة.

– أنه كان يحشد مقاتلي الشيعة للمعارك بدافع فك الحصار عن إخوانهم في نبل والزهراء بخلاف حصار حلب الذي لا يوجد فيه هذا الدافع المعنوي لحشد المقاتلين.

– أنه كان يعاني استنزافا بشريا فكان يريد فتح الطريق لنبل والزهراء للاستفادة من الخزان البشري هناك في حصار حلب.

– أنه كان يستغل وجود خوارج البغدادي في ظهره أثناء تقدمه، وقد كانوا لا يقاتلونه في هذه الجبهة بل كانوا يقاتلون كذلك المجاهدين والثوار في تلك المنطقة، فهو يقاتل المجاهدين وجها لوجه وظهره آمن، والمجاهدون يقاتلون النصيرية وكذلك الخوارج، بخلاف ما لو حاصر حلب فسيضطر لقتال المجاهدين على الجانبين الأمامي والخلفي في جبهة ليس فيها خوارج يشاغلون المجاهدين، وهذا أثقل عليه.

– أن هناك في تلك المرحلة خطوطا حمراء دولية واتفاقيات ثنائية مع الأتراك تقتضي ألا يتم حصار حلب.

* أيًّا ما كان فقد كانت وجهة العدو جهة قرى ريف حلب الشمالي التي في طريقه لنبل والزهراء.

– في تلك الأثناء ولكن خارج حلب استطاعت حركة أحرار الشام الإسلامية وجبهة النصرة تطوير القوى المركزية المتحركة لديهما؛ بحيث يخوض كل فصيل منهما معارك كبرى بهيكلية متكاملة، وقد توجت تلك القوى بمعارك مشهورة من أهمها:

* معركة زئير الأحرار في الشهر العاشر ٢٠١٤ م والتي كانت تهدف للسيطرة على معامل الدفاع، وهي قاعدة مهمة للعدو النصيري تنطلق منها المروحيات المحملة بالبراميل

المتفجرة، واستطاع الأحرار في تلك المعركة تهديد معقل مهم للعدو وتكبيده خسائر عديدة، دون القدرة على تحرير المعامل..

* معركة تحرير معسكر وادي الضيف والحامدية في الشهر الثاني عشر ٢٠١٤ م والتي تقاسمت إدارتها جبهة النصرة وأحرار الشام، فاستلمت الجبهة ومن دخل معها محور وادي الضيف، واستلمت الأحرار ومن دخل معها محور الحامدية، وقد نتج عن هذه المعركة المباركة تحرير المعسكرين، وكان نصرا عظيما بفضل الله تعالى، نتج عنه تغير ميداني كبير في محافظة إدلب وانهيار في معنويات العدو في تلك الجبهات، وكميات كبيرة من الغنائم.

* معركة نبل والزهراء في الشهر الأول من عام ٢٠١٥؛ حيث اقتحمت جبهة النصرة على أطراف القريتين بهدف تحريرهما وقطع أمل حملة دبيب النمل في فتح طريق لهما، ونكل المجاهدون في هذه المعركة بالعدو لكن دون القدرة على تحرير القريتين.

ورغم أن هذه المعارك الكبيرة كانت تضغط على العدو إلا أن الوضع في حلب كان لا يزال متدهورا، والأمور حرجة، ولا زال العدو يتقدم..

ليالي حلب ٣٨
معركة رتيان الأولى واستيلاء العدو على باشكوي

في الشهر الأول ٢٠١٥م قررت حركة أحرار الشام الإسلامية القيام بمعركة كبيرة في حلب؛ لمواجهة الخطر المتزايد لعملية دبيب النمل، وحشدت لها ألوية الحركة، وبالفعل جاءت حشودات من الحركة، ولكن كان هناك بطؤ في الاستطلاع وتوزيع المحاور وترتيب المعركة، خاصة مع وجود أمطار شتوية تعيق تحرك الآليات الثقيلة في الأراضي الزراعية.

وهذا المرض وهو مرض البطء في البدء بالأعمال العسكرية المقررة وتأجيل العمل عدة مرات، واستنفار المجاهدين ثم فك استنفارهم، هو مرض مزمن في الثورة السورية، وهو كذلك مرض قاتل، فكثيرا وكثيرا جدا ما يتم إقرار المعركة وحشد الجنود وتحريك الآليات ونشر المدافع ثم يأتي الأمر بتأجيل العمل لأن المحور الفلاني لم يكتمل تجهيزه، ولأن المجموعة الفلانية تريد تغيير المحور، ولأن الآليات الموجودة فيها أعطال، ولأن التذخير غير كاف، ولأن الجو ممطر، ولأن الليل أقبل قبل أن تبدأ المعركة، ولأن الضوء سطع وانكشف المنغمسون ووووو، ثم يعود المجاهدون لمقراتهم بعد أن يكون خبر المعركة قد انتشر في كل مكان وأصبح حديث كل لسان، ثم بعد فترة تبدأ المعركة وجيش العدو في كمائنه ينتظر المهاجمين أو يبادر العدو بالهجوم المضاد فتفشل المعركة ويتحول المجاهدون للصد، وهذا ما حصل يومها...

عمل العدو يومها بقاعدة الهجوم خير وسيلة للدفاع، فكانت معركة رتيان وباشكوي الأولى الشهيرة في فجر يوم الثلاثاء ١٧ – ٢ – ٢٠١٥، وقد كانت عملية غريبة في طريقتها على غير العادة في السياسة العسكرية للعدو.

استخدم العدو في هذه المعركة سياسة التسلل التي استخدمها قبل ذلك بعدة أشهر عندما تسلل وقطع طريق حندرات– الريف الشمالي، ولكن المعركة السابقة لم تكن باتساع وانتشار هذه المعركة الجديدة؛ حيث استقدم العدو أعدادا كبيرة من المشاة وتسلل في عدة محاور دفعة واحدة مع مشاغلة في محاور أخرى؛ ليستيقظ المجاهدون على سقوط

باشكوي ورتيان واشتباكات في الملاح وتخوف على طريق حلب الوحيد وهو الكاستيلو!

كانت الصدمة يومها كبيرة وإلى حدود الساعة العاشرة صباحا لم يكن قادة الفصائل قد استوعبوا ما حصل وما أبعاده وما محاوره؛ حيث تأتيهم أخبار كثيرة عن تقدم العدو وتحركه مع أخبار المشاغلات مع بعض الشائعات كذلك، وكان الصد في البداية عشوائيا وتلقائيا من المرابطين ومن الأهالي الموجودين كما حصل مثلا في رتيان، ولكن لم تغرب شمس ذاك اليوم إلا وقد تبين الإشغال من الهجوم الحقيقي، وخلال يومين تم تأمين عدد من الجبهات مثل الملاح والكاستيلو ومطاردة العدو في رتيان وحردتنين حتى خرج منهما وأسر العشرات من جنود العدو، وتقهقر العدو إلى باشكوي.

عندها انقلبت الروح المعنوية للمجاهدين وهم يرون ما تقديره مئات من القتلى متناثرين في كل مكان مع الكثير من الأسرى، وكان نصرا كبيرا وعمت الفرحة جميع المناطق المحررة.

ولكن:

نعم خسر العدو مئات القتلى والجرحى والأسرى، وتقهقر في مناطق كبيرة من التي تقدم لها ذاك اليوم، وظل عدة شهور يرمم خسارته ولكنه يومها كسب باشكوي..

ظن المجاهدون يومها أن أمر باشكوي أمر سهل يمكن تأجيله إلى حين ترتيب القوة وارتياح المشاركين في معركة تحرير رتيان وحردتنين، ولكنه تأجيل كان يعني تثبيت العدو لنقاط تقدمه في المنطقة وتجهيز دفاعاته لتتحول باشكوي إلى خنجر في خاصرة المنطقة يستنزف المجاهدين طويلا..

ومرة أخرى نقف وقفة تأمل أمام عوامل النصر والهزيمة في الثورة السورية؛ إن هذا الحَطَب الذي يلقيه العدو النصيري للقتل لا قيمة له عنده؛ فجُلُّهم أبناء لآباء من أهل السنة وهو يملك خزانا منهم لا ينتهي عادة، فهو قهر الناس وحكمهم بالحديد والنار، أما الأرض فلها في ثورة التحرر من عميل داخلي معنى كبير؛ لأن من يحكم منطقة يحكم أهلها كذلك وهذا هو لب الصراع؛ أن يحكم الناس الطاغية المتجبر أو أن يتخلصوا ويتحرروا من

طغيانه..

إن هناك فرقا ضخما لا ينتبه له بعض من يتكلم عن الثورة في مراحل الحسم وهو الفرق بين ثورة ضد محتل وعدو خارجي وبين ثورة ضد عميل داخلي وعدو من نفس البلد، إن الثورة ضد المحتل قد تبقى وتستمر عشرات السنين وإن كان الوطن كله تحت حكم المحتل؛ لأن مقاومته مركوزة في أعماق الشعب وهذا ما يجري مثلا في فلسطين والعراق وأفغانستان، أما الثورة ضد العميل فلا يفقهها كثير من الناس، فالسيطرة على الأرض تقدم الحاضنة الشعبية المطلوبة لاستكمال الثورة، أما ضياع الأرض والانطلاق من الصحاري أو من بلاد المهجر للقيام بعمليات نوعية فهذا يعني تآكل الثورة وأبنائها يوما بعد يوم بسبب الاستنزاف وجفاف منابع الاستقطاب فيقوى النظام العميل يوما بعد آخر.

ليالي حلب ٣٩

مشروع الجبهة الإسلامية بحلب

في الشهر الثاني عشر من عام ٢٠١٤ تم إعلان عودة أحرار الشام بحلب لعلاقتها التنظيمية بحركة أحرار الشام الإسلامية لا الجبهة الشامية المشكلة وقتها حديثا من اندماج الجبهة الإسلامية بحلب وجيش المجاهدين وتجمع فاستقم وحركة نور الدين الزنكي..

وقد كانت الجبهة الإسلامية بحلب عبارة عن اندماج أحرار الشام بحلب مع لواء التوحيد ضمن إطار مشروع الجبهة الإسلامية والذي كانت فكرته في مرحلة من مراحله أن يندمج الأحرار بحلب مع لواء التوحيد، وأن يندمج الأحرار بالغوطة مع جيش الإسلام، وأن يندمج صقور الشام بإدلب مع أحرار إدلب، ثم يندمجون جميعا بعد أن يتم الدمج المناطقي، ثم تفكك المشروع، ولم تتم سوى خطوة دمج أحرار حلب مع لواء التوحيد، وأصبحت علاقة أحرار الشام بحلب علاقة مزدوجة، فولاؤهم لحركة أحرار الشام أما القيادة الميدانية فتابعة لقيادة الجبهة الإسلامية بحلب والتي لا تتبع تنظيميا لأحرار الشام.

وكان بدء مشروع هذا الاندماج في حلب زمن القادة الأول وتولى ترتيبه في حلب الشيخ أبو يزن، وكانت له وجهات نظر ووجاهة ويعتقد أنه قادر على توجيه هذا الاندماج في الوجهة التي يريدها، ثم استشهد مع قادة الأحرار، فبحثت القيادة الجديدة للأحرار عن شخص يسد مكان الشيخ أبي يزن فاختارت أبا أنس دابق، فأتى كنائب لأمير الجبهة الإسلامية في حلب، ولكن طبيعته الشخصية كان فيها ضعف وتأثر كذلك بلواء التوحيد بدل أن يؤثر فيهم مما جعله يتبنى رؤية غير رؤية قيادة أحرار الشام.

وكان لا بد من حل لتلك الازدواجية، فإما أن تندمج الجبهة الإسلامية بحلب وحركة أحرار الشام كاملة ليصبحا كيانا واحدا، وإما أن يعود أحرار حلب لأحرار الشام، وإما أن يكون أحرار حلب مع الجبهة الإسلامية بحلب وتنقطع صلتهم بأحرار الشام.

وحصلت لقاءات بين قيادة الجبهة الإسلامية بحلب وحركة أحرار الشام وتم عرض اندماج الكيانين وطلبت قيادة الجبهة الإسلامية بحلب مهلة، وفي تلك المهلة تم بشكل مفاجئ إعلان تشكيل الجبهة الشامية.

في تلك المرحلة حصل خلاف داخلي في أحرار الشام حول هل يكون أحرار حلب مع الجبهة الشامية أم مع أحرار الشام.

وثار كلام حول وحدة الصف وجمع الكلمة، وكان الداعون للانضمام للجبهة الشامية يبررون ذلك بوحدة الصف، وكان بعض شورى الأحرار يميلون لذلك بسبب أن حلب عبء فيتخلصون منه.

والطرف الآخر يرى أن وحدة الصف هي في البقاء مع أحرار الشام فهي وحدة مع جماعة منتشرة في عموم الساحة وليست وحدة مناطقية خاصة بحلب مثل الجبهة الشامية.

ومسألة وحدة الصف في الجهاد الشامي انتابها كثير من التشويه سواء بالغلو أو التمييع، ولكن من أهم الملاحظات التي لا بد من توضيحها أن وحدة الصف المطلوبة في جهاد الدفع هنا هي التي تكون وسيلة لقوة الجهاد ودفع الصائل فإن أدت لذلك فهي مطلب ضروري وإن أدت في الواقع لنقيض ذلك لم تكن هي الوحدة المشروعة المطلوبة، أما كيف تؤدي بعض أنواع الوحدة في واقعنا لقوة الجهاد أو ضعفه فهذا يحتاج شرحا لعله يأتي لاحقا بإذن الله.

أما عامة أحرار حلب خاصة العاملين داخل مدينة حلب فكانت تجربتهم التي عاشوها خلال مدة الاندماج مع لواء التوحيد تدفعهم للعودة لأحرار الشام لأسباب من أهمها أنهم شعروا بوجود خلل في القيادة الشرعية وكذلك القيادة العسكرية للجبهة الإسلامية، وأن مركب الجبهة الإسلامية في حلب يسير للمجهول، فالضعف الشرعي كبير في كيان الجبهة الإسلامية سواء على مستوى الأفراد أو القيادة، والمرجعية الشرعية للجبهة الإسلامية بحلب التي في الشورى تختلف فكريا عن المسار الفكري الذي نشأت عليه أحرار الشام، وتم

الهيمنة بالقوة على الهيئة الشرعية بحلب من قبل المؤسسة الأمنية للواء التوحيد وإقصاء قضاة الأحرار منها مع الترويج لإقرار القانون العربي الموحد..

وأصبحت القيادة الفعلية للجبهة الإسلامية بحلب تحت سيطرة بعض ممن كانوا في لواء التوحيد ويتمركزون في معبر باب السلامة وعلاقاتهم بالداعمين في الخارج قد تكون أقوى من علاقاتهم بحلب المدينة وجبهاتها التي تعاني الإهمال.

لقد شعرنا في حلب بتغير فكري في قيادة الجبهة الإسلامية يخشى معه من تقوية للائتلاف ومؤسساته في حلب، ولم نجد كذلك مصلحة عسكرية في البقاء مع الجبهة الإسلامية بحلب فالكيان فيه ترهل كبير لا يبشر بقوة ولا يمكن من خلاله تقوية الجهاد.

وأذكر أني التقيت أبا أنس دابق في معبر باب السلامة، وقلت له: أنت تعرفني من زمن، فهل أنا غيرت شيء؟

قال لي: لا، ولكن نحن الذين تغيرنا.

فشكرت له صراحته وانصرفت، وبالفعل فالصراحة شيء يريح ويساعد في اختيار المكان المناسب، فهو حسب رأيي فيه كان يتبنى مسائل فيها شدة ثم تغير واعترف بالتغير، أما غيره فقد عايشت عدة تجارب يكون فيها الشخص يميل للغلو أو الشدة وينظر للمخالف نظرة استصغار وأننا نميل للتمييع، ثم هو هو ينقلب بعد فترة ويميل للتمييع أو التساهل وينظر للمخالف نظرة استصغار وأننا نميل للتشدد، وهو يحسب نفسه أنه لم يغير شيئا، رغم أن مكاننا ثابت لم يتغير وهو الذي انقلب من طرف لطرف آخر، عايشت أولئك في مصر وكان برهامي مثالا على ذلك فهو يظن نفسه على الحق قديما وحديثا وأنه لم يغير ولم يبدل، وعايشت أولئك هنا في الجهاد الشامي في المتكبرين الذين يظنون أن الحق يدور معهم حيثما داروا وانقلبوا.

حينها جاء الشيخ أبو جابر أمير حركة أحرار الشام إلى حلب ليعاين واقع الأحرار بها قبل أخذ القرار، وكان يخشى أن عودة أحرار حلب للحركة يشق صف أحرار حلب

فيضعف الجهاد بها، فتم إخباره أن كل أحرار حلب يريدون العودة للحركة عدا أفراد معدودين من الإداريين الذين هم بعيدون عن واقع مدينة حلب وعدا كتيبة مقرها في إعزاز واستلمت من لواء التوحيد جزءا من معابر التهريب مع تركيا، فانشرح صدر الشيخ أبي جابر بهذا الكلام لإصدار قرار عودة أحرار حلب للحركة، وكان قرارا صائبا بفضل الله تعالى.

ليالي حلب ٤٠
تشكيل الجبهة الشامية

في الشهر الثاني عشر من عام ٢٠١٤ تم الإعلان عن تشكيل الجبهة الشامية وهي اندماج للجبهة الإسلامية في حلب مع جيش المجاهدين وتجمع فاستقم ونور الدين الزنكي وجبهة الأصالة..

كان وضع الجبهات في حلب يومها صعبا والعدو يتقدم، وكان هناك اجتماع لأغلب قادة فصائل حلب وبدأوا يتلاومون ويرمي كل طرف التقصير على الطرف الآخر، ثم قال أحدهم: فلنتحد ويقودنا رجل واحد، فقال هذا: نعم، وذاك خير، فبايعوا أبا جمعة عبد العزيز سلامة أميرا لهم، وفوضوه في كل شيء وأعلنوا أن كل مخازنهم تحت إمرته...

الغريب في الأمر أن هذه الفصائل دخل معظمها من قبل في توحدات وتفككات سواء تحت مسمى لواء التوحيد أو تجمع فاستقم أو جيش المجاهدين، بل إنه قبل أيام قليلة جدا من هذا الإعلان تم الإعلان عن خروج تجمع فاستقم من جيش المجاهدين!

أول تحد للجبهة الشامية كان خروج الفوج الأول منها، صحيح أن أحرار الشام بحلب عادت فورا بعد إعلان الجبهة الشامية لأحرار الشام ولكن هذا لم يكن في حقيقته يعتبر خروجا؛ لأن مشروع الجبهة الإسلامية لم يتم فعاد كل جزء لأصله، إضافة إلى التباين الواضح بين طريقة أحرار الشام وقتها وطرائق ما يسمى عرفا فصائل الجيش الحر، أما الفوج الأول فهو جزء أساسي من لواء التوحيد، ولا يوجد أي اختلاف فكري ولا أسلوبي بينه وبين بقية فصائل الجبهة الشامية..

عندها حصل خلاف بين المنشقين في الفوج الأول والجبهة الشامية حول أحقية الرباط في القطاعات التي انشقت، هل يرابط فيها المنشقون أم تعود للجبهة الشامية ويخرج المنشقون منها، وجاءني يومها أحد قادة الفوج الأول وطلب مني أن أذهب لأكون قاضيا في المسألة، ودخلت يومها فوجدت الناس مجتمعين وهناك غيري قرابة خمسة مشايخ، وقالوا: أنتم الستة تحكمون في القضية..

سمعنا من الموجودين، ثم ذهبت والتقيت "حاج الباب" وعدت والتقيت "حاج عندان"

وزرت بعض جبهات الرباط التي ستنشق لأطلع على الواقع، وأبرز ما لاحظته يومها أن بعض القادة في الشامية قالوا لي: هؤلاء يريدون أن ينشقوا ليدخلوا غرفة الموم التابعة لأمريكا، أما بعض قادة الفوج الأول فقالوا لي: هؤلاء "يقصدون قادة الشامية" جمدوا جبهات حلب استجابة لمبادرة ديمستورا، ونحن نرفض ذلك ونريد خوض المعارك! وقد تعرفنا على الداعم الذي يدعمهم فسننطلق كما انطلقوا.

ولقد وجدت فيما بعد أن اتهام كثير من قادة فصائل الجيش الحر لبعضهم البعض هو ظاهرة منتشرة –سواء بحق أو بباطل–، فهذا يأتي لك ويقول: فلان مشروعه أمريكي، وفلان سيقاتل الإسلاميين، بل وفلان عميل للنظام النصيري!!!، ويأتي الطرف الآخر ويقول عن الطرف الأول مثل ذلك!!

أما أصدق كلمة سمعتها عن سبب انشقاق الفوج الأول فهي عندما سألت أحد المرابطين الذين سينشقون مع الفوج الأول عن سبب الانشقاق، قال: هم يجلسون في باب السلامة ويأكلون الكباب، ونحن هنا على الجبهات ونأكل مجدرة، ونريد أن نأكل نحن كذلك الكباب!!

سألت عن طريقة الرباط في تلك الجبهات وهل هي مجموعات كانت مرابطة وانضمت للواء التوحيد أم أن لواء التوحيد هو الذي كان مرابطا في تلك الجبهات ومن خلاله رابطت تلك المجموعات في هذه النقاط.

وخلال أيام معدودة اجتمعت اللجنة القضائية وشرحت رأيي وهو أن الجبهة الشامية أحق بنقاط الرباط تلك من الفوج الأول وتماشت اللجنة مع هذا الرأي وخرج القرار القضائي بذلك، وكانت مفاجأة للفوج الأول أن القاضي الذي جلبوه حكم ضدهم، وحاول الفوج الأول أن يماطل في الحكم والتنفيذ بالضغط على بعض القضاة، ولكني رفضت ذلك فلم ينجح الفوج فيما أراد..

والذي تبين لي في هذه اللجنة القضائية وفي عدد من القضايا فيما بعد أن هدف تشكيل اللجان هو الوصول لحل صلحي أو إماتة القضية وتسويفها وليس بيان الحكم فيها، وأن الروح الفصائلية تكون مسيطرة على عمل كثير من تلك اللجان، والعجيب في

قضيتنا أن أحد القضاة بعد أن وافق على الحكم ووقع عليه وكان قادما من طرف الفوج الأول كذلك عاتبوه على ذلك فأخرج في اليوم التالي بيانا يتراجع فيه عن الحكم، وأحد القضاة وكان مندوبا من أحرار سوريا واسمه أبو المجد أحمد محمود فتوح وكان يلبس عمامة من العمامات الكبيرة فوجئت فيما بعد أنه عسكري منشق خريج الكلتاوية ثم ذهب للريف الشمالي بمشروع التنسيق مع الطيران الروسي ضد جماعة البغدادي لأن الأمريكان غير جادين في قتال جماعة البغدادي، وشكل هناك ما سماه كتائب المجد!!

استغربت وقتها حرص الطرفين المختلفين على التواجد بنقاط الرباط، رغم أن الشائع وقتها عند الأحرار والنصرة أن كثرة الرباط عبء والتخفف منه مطلوب لتكون هناك قدرة أكبر على الحركة، وتبين لي فيما بعد أن حرصهم على الرباط لسببين:

أحدهما: هو أن كثيرا من المرابطين مناطقيين فهو يرابط بجوار بيته مع أي فصيل يأتي، فالفصيل الذي سيكون بالنقاط سيكون عدده أكبر، والذي سيخرج منها لن يخرج أكثر المرابطين معه فسيقل عدده.

السبب الثاني وهو الأهم: أن الذي يرابط في نقاط أكبر يأتيه دعم أكبر على هذه النقاط ويكون هو أمام الداعمين المسيطر على تلك المنطقة، والدولة التي تدعم هذا الفصيل تعتبر هي المسيطرة على تلك المنطقة فتكون لها قوة دولية في المفاوضات..

وللأسف فهذا صحيح، فمن يرابط في أغلب النقاط هو في الحقيقة المسيطر على المنطقة والبقية تبع له وإن بدى غير ذلك، ففي حلب لم يستطع العدو اقتحام نقاط الأحرار والنصرة ودافعوا عن نقاطهم بقوة في الشيخ سعيد وعزيزة وبستان الباشا وغيرها، ولكن بسقوط النقاط الأخرى سقطت نقاط الأحرار والنصرة تلقائيا..

وللأسف هذا ما نقوله اليوم في إدلب: من يملك أغلب رباط إدلب يتحكم في المنطقة، وتفريط الفصائل الإسلامية في سد ثغور إدلب اعتمادا على وجود غيرهم فيها مع القدرة على سدها جميعا أو أكثرها هو تهرب من المسؤولية وضعف في الأمانة وتماش – بوعي أو بدون وعي– مع المؤامرة التركية والحل السياسي؛ فقد يكون التماشي مع المؤامرة السياسية بالفعل وهو تكوين الجيش الوطني، وقد يكون التماشي مع المؤامرة السياسية بالترك وهو إهمال ثغور رباط إدلب.

ليالي حلب ٤١

تفكك الجبهة الشامية وظاهرة فشل الاندماجات

استمر تشكيل الجبهة الشامية قرابة الأربعة شهور ثم تفكك إلى مكونات عددها أكبر من عدد مكوناته السابقة، ورغم أن تشكيله قوبل بالفرحة من الكثيرين لاجتماع هذا العدد والحجم من الفصائل إلا أن تفككه لم يقابل بالحزن من هؤلاء الكثيرين؛ لأن تجربته القصيرة لم تؤد للآمال التي توقعوها منه.

لقد كان التفرق من أهم الأزمات التي واجهت الجهاد الشامي وكانت الاندماجات خطوة في علاج هذه الأزمة ولكنها لم تكن العلاج الكافي بسبب ما اعترى كثيرا من تجاربها من خطوات خاطئة.

* ومن أبرز تلك الأخطاء:

١- أول ما تعتني به قيادة كثير من الاندماجات غالبا هو تقوية المركزية وإضعاف مكونات الاندماج، وهذا أول خطأ قاتل؛ حيث يشعر الناس أنهم أمام من يريد التسلط عليهم بالسيطرة على كل شيء في حين أنهم لا يثقون كثيرا بعد في قيادته ولا في أمانته؛ فتبدأ الخلافات الداخلية تدب في الفصيل الجديد قبل أن يخطو أي خطوة، وهذا ما بدأت به الجبهة الشامية؛ حيث اتفقوا من أول الأيام على تسليم المستودعات والممتلكات للقيادة الجديدة وكثير منهم في الأصل غير مقتنع بذلك..

والأصل أن يتم تقوية أجزاء الاندماج والتي تكون غالبا مناطقية لتتقوى المركزية، فالمركزية إن قويت على أنقاض الأجزاء فهي قوة مؤقتة؛ حيث إن المركزية لا تملك عادة روافد بشرية واجتماعية تعينها على الاستمرار، بينما الروابط المناطقية والاجتماعية التي تقوم عليها الفصائل الصغيرة هي نبع مستمر يمدها بما تحتاجه في هذه المعركة الطويلة، فعندما تتقوى النواة الصلبة وهي الكتيبة يتم إنشاء مركزيات تتقوى بهذه الكتائب وتستمد منها حيويتها فالمركزيات هي تجمع نخب الكتائب وليست بديلا يلغي الكتائب، وبذلك يمكن تجنب الخطأين الشهيرين في الاندماجات وهما؛ أولا: الاندماج الصوري الذي تبقى الكتل المكونة له منفصلة عن بعضها لا يوحدها سوى الاسم والإعلام، والخطأ الثاني هو فرط

الكتل وتفريق المجموعات فيفقد الكيان العَصبات التي يلتف الناس عادة حولها والتي تراعي في الغالب أحوال البيئة التي خرجت منها، فيكون الاندماج اتحاد في الصورة ولكنه في الواقع إضعاف للجهاد وتفريط في عوامل القوة التي كانت متوفرة.

ومن المصائب المتعلقة بالمركزيات في الاندماجات أنها تبدأ عادة بطلب ذاتيات الفصائل المنضوية تحت الكيان الجديد، فيتم عمل ذاتيات مفصلة عن الشخص وعائلته وتاريخه وقدراته ورغباته وأشياء كثيرة غريبة لا يُستفاد منها عادة أدنى استفادة، ولكن للأسف يكون المستقر النهائي لهذه البيانات غالبا هو في أروقة المخابرات الدولية سواء باختراق الأجهزة الإلكترونية أو عن طريق العملاء أو عن طريق الدعم الذي يوثق بيانات المستفيدين منه أو عن طريق سقوط المناطق والاستيلاء على البيانات أو غير ذلك..، ولأن الخطأ كثيرا ما يتكرر بحذافيره فلا زلت أذكر بأسف يوم نشر الأمريكان في حدود عام ٢٠٠٨م بيانات مئات المجاهدين العرب الذين ذهبوا للجهاد في العراق واقتحم الأمريكان أحد المقرات الحدودية ووجدوا فيه هذه الوثائق ثم نشروها بعد مدة، ومن المؤسف في تلك الوثائق أن مسؤول الذاتية كان يسأل المجاهد: من تعرف في بلدك يريد الجهاد أو يريد دعم المجاهدين؟! فيعطيه المجاهد بيانات محبي الجهاد في بلده، فحصل الأمريكان على تلك المعلومات القيمة بسهولة ويسر!!

٢- وثاني شيء تحرص عليه كثير من قيادات الاندماجات هو السيطرة الداخلية على الموارد والهيمنة على الشعب عن طريق الشرطة والمحاكم، فقبل أن يحقق الفصيل الجديد إنجازات عسكرية يبدأ في برنامج السيطرة الداخلية؛ حيث قسمت الشامية مدينة حلب إلى مناطق وكلفت كل مجموعة بإدارة منطقة فظهرت إشكاليات مع بعض الفصائل ككتائب أبو عمارة، وعلى هذه الطريقة سارت كثير من الفصائل الاندماجية، فقبل أن تقدم أي شيء تريد أن تستحوذ على أكبر قدر ممكن من السلطة والموارد، مع غياب تام غالبا لأي رؤية تتعلق بخدمة الشعب أو تعليمه أو معالجة أزماته. فتقع تلك الاندماجات وجها لوجه أمام تحديات داخلية لا قِبل لها بها، تؤدي لذهاب حاضنتها في أسرع فرصة، وتجربة حكم فاشلة أقوى تأثيرا من عشرات المؤامرات والمكائد.

٣- وثالثة الأثافي أن الكيان الجديد يسارع عادة لما يظنه جني الثمار وقطع الطريق

على الآخرين وتوحيد قرار السلم والحرب فيبادر بتشكيل ما يسميه المكتب السياسي ليكون هو ممثل الداخل السوري خارجيا، فيُبدِّل البعض زيه ويشتري بدلة جديدة ويخفف لحيته ويغير طريقة حديثه ويظن أنه بذلك أصبح سياسيا! فيقع بتسرعه ذاك ضحية المؤامرات والألاعيب التي اعتادها المتآمرون.

* لقد حاول الكثيرون عبر مراحل الثورة جمع ما يسمى بالجيش الحر، وكانت تجربة الجبهة الشامية خطوة في ذاك الطريق، وتحولت قضية التجمعات في كثير من الأحيان لروتين طبيعي لا ينبني عليه كثير تغير ميداني، فقد ذكرت قبل كيف أن جيش المجاهدين تفرقت فصائله ثم بعد أيام توحدت تحت اسم الجبهة الشامية، ثم تفككت الجبهة الشامية لتجتمع بعدها فورا تحت اسم غرفة عمليات فتح حلب، وهكذا... إلى أن استطاعت تركيا عبر إنشائها الجيش الوطني جمع أكبر كتل الجيش الحر تحت جناحها لتكون هي المفاوضة دوليا باسمهم.

* ومن المواقف ذات الدلالة أنه عندما بدأ تفكك الجهة الشامية وانشق ثوار الشام قام من كان أصلهم الزنكي باعتقال قادة ثوار الشام بزعم منع الانشقاق، وتدخل الأتراك فأفرج الزنكي عنهم وبقيت الضغائن بين الطرفين، وتدخل البعض للإصلاح بين الفريقين، وأذكر أننا ذهبنا لاجتماع في الريف الغربي لحلب من أجل ذلك، وبينما نحن نحاول استرضاء الغاضبين ونجد صعوبات وتعنت في ذلك، جاءهم هاتف للاجتماع الفوري في تركيا فقاموا مهرولين وتركونا، وانتهى الخلاف فورا بأوامر تركية!.

لم يستطع أي اندماج في الثورة منع الانشقاق عنه، وربما تكون التجربة التي حالت دون انشقاق كثير من مكوناتها هي تجربة حركة الزنكي، ولكنها منعت الانشقاق عنها ليس باقتناع الناس بمشروعها وبرغبتهم فيها ولكن بقبضة أمنية غاشمة، ولكن أنى للغشوم أن يدوم فقد زالت وانهار بنيانها؛ لأن قهر الناس وظلمهم عاقبته وخيمة. فمن أراد المحافظة على أكبر كتلة من الكيان فعليه بتقوى الله تبارك وتعالى، والبحث في الوسائل الشرعية والسنن الكونية التي تزيد الألفة وتذهب الفرقة، قال تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ".

* ومن الملاحظات المكررة أنه بعد تفكك الجبهة الشامية إلى عدة مكونات كل مكون له اسم مثل تجمع فاستقم وثوار الشام وحركة نور الدين الزنكي وجيش المجاهدين، لم يعد لواء التوحيد إلى اسمه القديم لواء التوحيد ولا إلى اسمه التالي وهو الجبهة الإسلامية، بل احتفظ باسم الجبهة الشامية!، وهذه عادة متكررة؛ حيث يهرب البعض من اسمه القديم لما التبس به من حقوق أو تنظيمات إدارية أو إشكاليات إلى الاسم الجديد محاولا التملص من ذاك القديم، ليتغنى متى شاء بإنجازات الاسم القديم بلا تحمل لحقوقه وتبعاته.

* ومن المواقف التي تعرضت لها الجبهة الشامية موقفها من القتال بين جبهة النصرة وحركة حزم؛ وحركة حزم هي تجمع لعدد من الفصائل والكتائب مدعومة أمريكيا وكان من أبرز المروجين لها دوليا اللواء سليم إدريس وزير الدفاع حاليا في حكومة الائتلاف المؤقتة، حيث حاولت الجبهة الشامية إيقاف القتال بين الطرفين فاتفقت مع النصرة على قبول انضمام حزم للجبهة الشامية بشروط معينة، ولكن لم تلتزم حزم بتلك الشروط، فرفعت الجبهة الشامية يدها عن حزم، فوقع القتال الشهير بين الطرفين في الفوج ٤٦ الذي انتهت على إثره حركة حزم...، وقد كانت قيادة جبهة النصرة تحكم على قيادات حركة حزم بالردة وتحكم على جنودها بالإسلام عذرا لهم بالجهل كما سمعت ذلك حينها من أحد أهم قيادات الجبهة، ولعلي لاحقا إن شاء الله أستطرد بعض الشيء في الكلام عن القتال الفصائلي الذي مرت به الثورة السورية وأنواعه وأسبابه ونتائجه.

* إن من المفيد عند الاندماجات:

١- الجدية في تطوير الجهاد والدفاع عن المستضعفين، والتركيز على العسكرة.

٢- الشورى الحقيقية التي تتعبد الله جل وعلا بذلك، والتي تسعى للاستضاءة بالعقول والبحث عن الأصوب وتولية الأكفاء الأمناء.

٣- إنزال الناس منازلهم ومعرفة فضل ذوي الفضل وتفعيل الكفاءات والاستفادة من الخبرات.

٤- لين الجانب للمجاهدين والذلة على المؤمنين والرحمة بالمسلمين، وحسن الخلق.

٥- البيئة الإيمانية التي تسعى للارتقاء بالنفوس وتحقيق العبودية وتوثيق الأخوة في

الله.

٦- التنظيم الإداري الجيد الذي يُسهِّل عمل المجاهدين ويضمن حقوقهم ويراعي ظروفهم، والذي يقطع الطريق على لصوص الثورات المتاجرين بتضحيات الصادقين.

٧- معرفة واقع الأمة والمراحل التي تمر بها بدقة، فلسنا في عهد التمكين التام والقوة الكبرى والنفوذ الأتم، بل نحن في مرحلة عمت فيها الجاهلية جل أقطار الأرض واستولت على أكثر ديار المسلمين، ومظاهر القوة أو الاستقرار التي تبدو هنا أو هناك هي مرحلة تتبعها مراحل في المعركة الشاملة بين الإسلام والكفر، فالوحدة التنظيمية في واقع الأمة اليوم هي حالة مرغوب فيها إن أدت إلى مقصود الوحدة من قوة وترابط ودفاع عن الأمة، وربما كان تعدد التنظيمات في حالات أخرى -بسبب ضغوط الواقع- أقرب لتحقيق مقاصد الأمة في الحفاظ على دينها ودمائها وعرضها..، لأن الوحدة التنظيمية مثلا تصيب الناس في مكان ما بأذى أكبر من نفع تلك الوحدة التنظيمية أو يجعلها في إطار يمكن للعدو به حصرها وإضعافها أو يؤدي ذلك لتحجيم دورها في معركة الأمة، أو يكون التنوع التنظيمي أيسر للمناورة والمدافعة..، فلا بد للحكماء من تقدير ظرف كل مكان بدقة والموازنة بين المصالح والمفاسد لاختيار الإجراء الأنسب من اندماج أو تعدد تنظيمات.

٨- الاعتدال في فهم حقيقة التنظيمات وحقوق الأمير والجندي فيها، فالبعض يغلو في حقوقها ليعطيها أمورا لا تحق للخليفة أصلا كوجوب الاستمرار مع هذه الجماعة إلى ممات الجندي، وكمنع الجندي من التعاون مع الجماعات الأخرى في المعروف، وكالخلط في مسألة تقييد المباح لتتجاوز إلى تحريم الحلال..، والبعض على النقيض لا يرى للتنظيم أي سلطة عليه البتة فيشارك في المعركة التي يريدها ويمتنع عن المشاركة في المعركة التي لا يريدها، ويرابط في المحور الذي يريد ويرفض الرباط في المحور الذي لا يريد..، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ليالي حلب ٤٢
تشكيل جيش الفتح

في الشهر الثالث ٢٠١٥ كانت المناطق المحررة تعاني حالة من الإرهاق والمحن إثر الهجمات المتتابعة للعدو النصيري وحلفائه الرافضة خاصة في معارك دبيب النمل التي كادت أن تطوق الجزء المحرر من مدينة حلب المحررة، ورغم أن العدو خسر خسارة كبيرة في معركة رتيان الشهيرة وقتها، إلا أنه كان لا زال متماسكا في تلك المنطقة واستطاع البقاء في منطقة باشكوي، بل وصد العدو هجوم المجاهدين على تلة حندرات وسقط قرابة السبعين شهيدا في تلك المعركة.

وكانت المناطق المحررة تعاني كذلك من فتنة الكثيرين بالخوارج إثر توسع سيطرة جماعة البغدادي وكسرهم الحدود العراقية السورية، مما أدى لزيادة عدد المنتقلين من المناطق المحررة لداعش، وكذلك ازداد عدد الاغتيالات التي قام بها الدواعش بالمناطق المحررة، وكذلك ازداد عدد التاركين للجهاد.

في هذه المحنة تشكل جيش الفتح والمكون بشكل أساسي من: أحرار الشام، وجبهة النصرة، وجند الأقصى، وفيلق الشام، وجيش السنة، ولواء الحق، وأجناد الشام. واستطاع بفضل الله تحرير إدلب وجسر الشغور ومعسكر القرميد والمسطومة وأريحا وغير ذلك، واستغرق ذلك أقل من ثلاثة شهور، وكان منعطفا مهما في تاريخ الجهاد الشامي.

* ومن أهم الأمور التي جعلها الله جل وعلا أسبابا لهذه الانتصارات ما يلي:

١- تغيير محور المعارك من المناطق المشتعلة في محيط حلب إلى جبهة مدينة إدلب والتي كانت شبه هادئة زمنا طويلا قبل تلك المعركة، ولم تكن قوات العدو في مدينة إدلب قد تمرست بعد على النفس الطويل في المعارك ولا على الاشتباكات المباشرة المستمرة.

٢- جودة التنسيق بين الفصائل في جيش الفتح مقارنة بغرف العمليات السابقة.

٣- حشد كل فصيل مشارك لأكبر عدد من قواته الفاعلة؛ بحيث كانت نسبة الجاهزية مقبولة عموما، مع حشد مختلف أنواع الأسلحة خاصة الثقيلة، مما وفر كثافة نيرانية وفاعلية ميدانية كبيرة، فلأول مرة في الثورة السورية يخوض المجاهدون معركة فيها هذا الكم الكبير من الدبابات والمدرعات والمدافع والرشاشات.

٤- ارتفاع نسبة مشاركة المجاهدين المعروفين وقتها بتقواهم خاصة في فصائل: التركستان، والجبهة، والأحرار، وجند الأقصى.

٥- استخدام المجاهدين أساليب عسكرية لم تكن معتادة خاصة في أساليب الانغماس بالدبابات مع تطور أداء المفخخات، وهي أساليب احتاج العدو زمنا ليتمرس على وسائل صدها.

٦- الهجوم على المنطقة من محاور متعددة، وتضييق الخناق عليها فتسارع قوات العدو للانسحاب خوفا من إطباق المجاهدين الحصار عليها.

٧- استغلال حالة الرعب التي دبت في قلوب العدو لتحقيق حالة انهيار تام بينهم؛ لذا لم تستغرق المعارك الكبرى كتحرير إدلب وجسر الشغور وأريحا سوى وقت قصير لا يتعدى أحيانا اليومين والثلاثة والأربعة أيام فقط.

٨- الإشغال المستمر للجبهات واستلام زمام المبادرة واختيار المجاهدين للجبهات التي يريدونها، وعدم ترك المجال لقوات العدو للاستراحة أو حشد قواتها في المحاور التي تريدها هي.

٩- الزخم الإعلامي الذي خاطب الحاضنة الشعبية في مناطق سيطرة العدو، وكذلك مشاهد النصر التي غزت وسائل الإعلام وكسرت نفوس العدو قادة وجندا.

١٠- النصر حالة جاذبة والهزيمة حالة طاردة، فالمنتصر عادة تزداد أعداد جنوده وقوته وإن خسر في سبيل تحقيق النصر خسائر كبيرة في العدد أو العدة؛ فالمجتمع المنتصر تهفو نفوس أفراده للمشاركة في نشوة النصر وتحصيل الغنيمة بلا كبير مبالاة بالضرر المترتب في سبيل ذلك، أما المجتمع المهزوم فتنهار نفسية عامة أفراده ويكون شعار الأكثر: انج سعد فقد هلك سعيد.

= وقد يظن البعض أن من الأسباب الرئيسية لتلك الانتصارات وجود الدعم الإقليمي، والحقيقة أن الدعم الخارجي للفصائل لم يتوقف في عامة مراحل الثورة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإن كان قد يتغير شكله أو مقداره أو الجهة التي تحصل عليه، فالدعم جاء أيام الانتصارات وجاء أيام الهزائم والتراجعات، ولا ينفي هذا أنه كان سببا مهما في بعض معارك الثورة السورية، ولكنه لم يكن بهذه الأهمية في معارك جيش الفتح تلك، خاصة أن نسبة كبيرة من الدعم في تلك المرحلة لم يكن جلب سلاح وذخيرة جديدة للساحة بل كان دوره تدوير السلاح والذخيرة الموجودة أصلا، فكثير من السلاح والذخيرة في ذلك الوقت كان متوفرا عند الفصائل من الغنائم التي تم أخذها من الثكنات والمستودعات والمطارات..، فيدعم الداعم المعركة بمبلغ، فيتم شراء أسلحة وذخائر للمعركة من فصائل الساحة، ويستغل الفصيل البائع المبلغ الذي باع به السلاح أو الذخيرة في مصاريفه ونفقاته.

* وبالعموم فقد كانت انتصارات جيش الفتح في تلك المرحلة سببا من أسباب التهدئة المؤقتة للجبهات المحيطة بحلب وتأخير حصار النصيرية لحلب عاما كاملا.

ليالي حلب ٤٣
تشكيل غرفة عمليات فتح حلب

أعطت انتصارات جيش الفتح في إدلب وما حولها أملا جديدا للثورة السورية في استعادة زمام المبادرة والتخطيط من جديد لعهد الفتوحات الكبرى الذي شهدته الثورة في أول سنتين لها.

وأعادت تلك الانتصارات كذلك النظر في الحسابات الفصائلية والمناطقية والدولية المتعلقة بالثورة؛ فقد كان من الشائع حينها أن هناك تقسيما دوليا مؤقتا يجعل المنطقة الشرقية "للدواعش"، وحلب "للائتلاف"، وإدلب "للإسلاميين".

ورغم أن سير علميات جيش الفتح في تلك المرحلة كان في جهة إدلب وحماة ولم تكن جبهات حلب أولويته، إلا أنه كان من المتوقع أن يأتي يوم ما يتجه فيه جيش الفتح لحلب.

وفي تلك الأثناء قررت "الدول الداعمة" إنشاء غرفة عمليات جديدة في حلب تحت اسم: "فتح حلب"، وأعلن عنها في السادس والعشرين من الشهر الرابع ٢٠١٥م، والهدف المعلن لها هو تحرير بقية أجزاء مدينة حلب، ولكن من الأهداف الحقيقية لإنشائها هو الخوف من تهميش فصائل حلب وانتهاء دورهم إن جاء جيش الفتح لحلب، كما قال أحد قادة فصائل حلب يومها: هل يعقل أن نرابط نحن هنا ثلاث سنين، ثم يأتي غيرنا ويفتح المدينة!

وتشكلت غرفة عمليات فتح حلب يومها من جل فصائل حلب عدا جبهة النصرة وجبهة أنصار الدين "جيش المهاجرين والأنصار وحركة فجر الشام"، فكان فيها: الجبهة الشامية، وأحرار الشام، وفيلق الشام، وثوار الشام، وتجمع فاستقم، والزنكي، وجيش المجاهدين، والسلطان مراد..، وغير ذلك.

وكان أساس قيام تلك الغرفة هو الدعم الذي انصب عليها وتم توزيعه من خلالها، وأذكر في أوائل اجتماعاتها كانت الفصائل تقدم أعدادها المتحركة التي ستشارك بها في الأعمال، وبدأت الفصائل تضع أعدادا يعلم كل متابع أنها غير صادقة، فطلبتُ من المجتمعين أن يكونوا دقيقين ليتم تنظيم العمل حقا، فرد أحدهم قائلا: لا تخف يمكنني فورا أن أجمع هذا العدد من على "الفيشة" أي من الشباب الذين يلعبون في الشارع!

والمتابع لمسيرة غرفة عمليات فتح حلب يلاحظ أن تأثيرها على تطوير سير معارك وجبهات حلب كان محدودا، فبقي الأداء العسكري بحلب على نفس وتيرته، ولم يتطور التخطيط العسكري ولا ارتفعت الجاهزية القتالية، بل ولا قوي التنسيق بين الفصائل على الجبهات، وكانت الغرفة أشبه ما تكون بالبقرة الحلوب التي تعمل كثير من الفصائل على استدرار حليبها بشتى الوسائل والمبررات الحقيقية وغير الحقيقية.

ومن خلال سير أعمال غرفة فتح حلب يتبين كذلك أن مسألة تحرير بقية أجزاء حلب لم تكن أولوية لها فباستثناء أعمال قليلة على حلب المحتلة كانت أغلب أعمال الغرفة دفاعية أو احترازية ضد العدو النصيري وكذلك ضد الدواعش.

وبعد شهرين من الإعلان عن غرفة فتح حلب تم في الثاني من الشهر السابع الإعلان عن غرفة عمليات "أنصار الشريعة"، والتي تضم: جبهة النصرة وجبهة أنصار الدين وأحرار الشام والفوج الأول وكتائب أبو عمارة والسلطان مراد وعددا من الفصائل الصغيرة..، ومن الملاحظ أن هناك عددا من الفصائل قد اشتركت في الغرفتين غرفة فتح حلب وغرفة أنصار الشريعة، فكلا الغرفتين احتوت فصائل تصنف وقتها على أنها "إسلامية"، وفصائل تصنف على أنها "جيش حر"، ولكن الفرق أن القيادة في غرفة فتح حلب للفصائل التي تصنف جيش حر، والقيادة في غرفة أنصار الشريعة للفصائل التي تصنف وقتها على أنها إسلامية.

ولم تستمر غرفة أنصار الشريعة إلا أياما عديدة قامت فيها بعمل على جمعية الزهراء، ثم اختفى الحديث باسم الغرفة فيما بعد.

وكان ظهور غرفة عمليات أنصار الشريعة بعد ظهور غرفة عمليات فتح حلب بعد ظهور

غرفة عمليات جيش الفتح ترجمة ظاهرة للانقسام الذي تعيشه حلب بناء على: التصنيف الفكري، والارتباط الدولي، والتمايز الفصائلي، الذي تسير فيه كل جماعة.

ورغم أن الانقسام الفصائلي العام، وانقسام الفصيل الواحد إلى ألوية متباينة، وانقسام اللواء الواحد إلى كتائب متنافرة، وانقسام الكتيبة إلى مجموعات مختلفة، هو ظاهرة منتشرة في الثورة السورية إلا أنها كانت أظهر وأوضح في مدينة حلب، وقد سبق الإشارة لشيء من ذلك في ليالي حلب ٢٢.

ليالي حلب ٤٤

بدعة استدراج الكفار لاحتلال ديار المسلمين

بعد شهرين من تحرير إدلب ووسط زخم الانتصارات المتتابعة خرج الجولاني في حوار مع أحمد منصور بقناة الجزيرة يتكلم عن بعض المواضيع المتعلقة بالساحة..

وبعيدا عن التحليل الدقيق لهذا اللقاء الذي يكشف جزءا من شخصية الجولاني المتلونة، فمن أهم ما لفت نظري يومها كلام الجولاني عن قناعته بأن الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله استدرج أمريكا لمواجهة مباشرة في أفغانستان، وأن من أهداف ضربة ١١ سبتمبر أن تأتي جيوش أمريكا لأفغانستان وتقاتل المجاهدين في حرب برية، وأنه معجب بتطبيق تلك الفكرة في أفغانستان...

وقد نشرت وقتها ردا بعنوان: "بدعة استدراج الكفار لاحتلال بلاد المسلمين" ومما ذكرته فيه يومها:

(قد صعقت لذكره هذه النظرية الإجرامية التي يستند إليها خوارج دولة البغدادي في عملهم الدؤوب على استقدام القوات الصليبية لتحتل بلاد الشام.

ويزعم المروجون لهذه النظرية عدم القدرة على مواجهة أمريكا في عقر دارها وعدم استجابة جمهور أمة الإسلام لخوض هذه المعركة، فاستدراجها لمواجهة داخل بلاد الإسلام، يجمع الأعادي لمصارعهم، ويحشد الأمة خلف المجاهدين، ويدمر جيوش الغرب واقتصادهم ويشتت جموعهم.

وهذه النظرية بدعة كلية كبرى تخالف الشرع القويم والعقل السليم والفطرة السوية.

ومبدأ الخلل فيها أنها لم تفرق بين الأمر الشرعي والأمر الكوني.

فالأمر الشرعي هو صيانة ديار الإسلام من عدوان المعتدين، والعمل بكل سبيل شرعي لمنع ظهور الكافرين على المسلمين، قال جل وعلا: "كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً".

أما الأمر الكوني فهو أن المبتلى أقرب للجوء إلى مولاه والعودة إلى ربه، ولكن على المرء طلب العافية لا البلاء، فإن ابتلاه الله صبر؛ فيحرم عليه طلبا للأجر جلب الأذى

الجلي لنفسه من انتحار أو قطع عضو..، أما إن جلب هذا الأذى لغيره من المسلمين فقد أعظم الفرية على دين الإسلام..، فلا يحب المرء قدوم جيوش الكفار، فإن قدمت لا محالة ولم يكن من منعهم سبيل فلا بأس أن يتحصن المسلمون في دور المدينة ويقاتلوا المشركين في شوارعها كما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل قبيل معركة أحد.

ونحن نربأ بالشيخ المجدد أسامة بن لادن رحمه الله أن يخون أميره المفضال الملا محمد عمر أمير طالبان، فيعمل على القضاء على الإمارة الإسلامية في أفغانستان تطبيقا لهذه النظرية الإجرامية، فيلقى الله وقد تسبب في قتل الأبرياء وانتهاك الأعراض وتدمير المدن.

ونربأ به أن يعلن العمل على إخراج المشركين من جزيرة العرب وهو في الحقيقة يعمل على إدخالهم لجزيرة العرب!).

وهذه النظرية قال عنها الشيخ أبو يحيى الليبي في رسالته "دفع الملام عن مجاهدي مغرب الإسلام" ردا على من يتهم المجاهدين باستخدام نظرية الاستدراج هذه: "ليس من سياسة المجاهدين لا في الجزائر ولا في غيرها نظرية (الاستدراج) التي طرحها الكاتب..".

ورغم شناعة هذه النظرية إلا أنها راجت بطريقة غريبة بين بعض المتحمسين بلا انضباط، ولا أدري من أصلها لهم، ولكني وجدت فيما سربه الأمريكان من وثائق رسالة – الله أعلم بصحتها– لأبي مصعب الزرقاوي أرسلها للشيخ أسامة بن لادن رحمهما الله تشير إلى تبني الزرقاوي مثل تلك النظرية، حيث يقول فيها: "الرافضة: وهؤلاء في رأينا مفتاح التغيير؛ أقصد أن استهدافهم وضربهم في العمق الديني والسياسي والعسكري سيتفزهم لِيُظهرُوا كَلَبَهُم على أهل السنة، ويُكشِروا عن أنياب الحقد الباطني الذي يعتمل في صدورهم، وإذا نجحنا أمكن إيقاظ السنة الغافلين، حين يشعرون بالخطر الداهم والموت الماحق على أيدي هؤلاء السبئية".

فهذه الرسالة تشير إلى أنه سيتم استهداف الرافضة بهدف أن يظهروا حقدهم وتنكيلهم في ضعفاء أهل السنة، وعندما ينكلون في أهل السنة ينتشر بين أهل السنة جهاد الرافضة!!، وهذا إجرام نعوذ بالله منه.

ليالي حلب ٤٥

خطاب التمييع

كان منتصف عام ٢٠١٥ يعني مرور سنة ونصف على المفاصلة التامة والمباينة بين الفصائل المجاهدة والثورية مع تنظيم البغدادي، والحرب الشاملة بينهما، وقد مرت هذه السنة والنصف بمرحلتين فكريتين مهمتين؛ المرحلة الأولى: هي مرحلة تأكيد الفصائل على ثباتها على المبادئ الإسلامية وبراءتها مما يرميهم به تنظيم الدولة من انحراف فكري وعقدي، حيث إن انتصارات خوارج البغدادي الميدانية وكذلك الضغط الإعلامي لجماعة الدولة واتهاماتهم للفصائل كان يؤثر بشدة على بنية الفصائل مما أدى إلى انشقاق أعداد ولحوقها بجماعة الدولة وكذلك ترك أعداد أخرى للفصائل وقعودها عن الجهاد.

أما المرحلة الثانية: فظهرت مع دخول التحالف الصليبي على خط مواجهة جماعة البغدادي وهزيمة جماعة البغدادي في كوباني، وتحسن وضع الفصائل بتحرير إدلب وما بعدها من النصيرية، مما شجع على ظهور خطاب فكري جافي يعمل على زعزعة البنية الفكرية المستقرة في صفوف المجاهدين، متخذا من محاربة الغلو ستارا لتمرير التفريط وإرهابا لمن يعارض تلك الأفكار.

فتمت إثارة معارك جدلية تضرب نصوص الشرع بعضها ببعض، ولا تراعي حرمة معالم الشريعة، وتهيج العوام على الحديث في أدق القضايا، وتصنف عموم التيار الإسلامي تصنيفات يُوالى ويعادى عليها، مع تعمد الإجمال والإبهام وترك البيان والتفصيل.

ومما ساهم في رواج هذا الخطاب المميع أنه في عهد الضعف تكثر حاجة الحركة الإسلامية إلى المداراة والتقية لدرء المفاسد وجلب المصالح بلا مداهنة ولا تمييع.. ولكن مع الأيام كثيرا ما تتحول المداراة الشرعية إلى تمييع محرم، وذلك بسبب:

- مخاطبة الأتباع بنفس خطاب المداراة الموجه للأعداء.
- التأصيل لتلك المداراة لتصبح أصلا عاما لا ضرورة مؤقتة.
- نشر خطاب المداراة السياسي والتضييق على الخطاب التأصيلي الشرعي.
- تصدير السياسي الموكل بمهمة مداراة الأعداء كرمز داخلي للكيان.

– جعل خطاب المداراة أصلا لا يحتاج إلى فتوى بخصوص كل حالة.

وقد روج هذا الفريق لعدد من القضايا الجدلية والمصطلحات المجملة والشعارات الرنانة، مثل: "جهاد الأمة لا جهاد النخبة"، والتحذير من "أُخوة المنهج"، والحكم بالقانون العربي الموحد في القضاء، واعتماد ما يسمى "علم الثورة" كراية جامعة للفصائل، والتنسيق مع طيران الجيش التركي في قتال الدواعش، والمشاركة السياسية..، ورغم أن بعض هذه القضايا كانت مثارة قبل تلك المرحلة إلا أن الكلام حولها في هذه المرحلة أخذ زخما أكبر وترتبت عليه آثار ميدانية واسعة..

وقد استند هذا التيار الجديد في أدبياته على بعض تراث جماعة الإخوان المسلمين، مع إبراز شخصيات مشهورة كمشجعة على السير في هذا الطريق من أمثال الشيخ أبي بصير الطرطوسي والشيخ أبي العباس الشامي والشيخ ماهر علوش والدكتور عبد الكريم بكار وغيرهم.

* ومن أمثلة بروز نشاط هذا التيار في تلك المرحلة أنه صدر في عام ٢٠١٥ العدد الأول من مجلة اسمها "ربيع الشام" صادرة عن مؤسسة "رماح" وهي لسان حال المكتب السياسي في حركة أحرار الشام وكان خطاب التمييع يسري في العديد من صفحات المجلة، خاصة في مقالة لحسام طرشة تتحدث عن "حرية الاعتقاد والحوار والفكر والتعبير" حيث يرى كاتبها أن من حق النصراني أو اليهودي أو المجوسي أن يدعو لجمع علماء المسلمين وعوامهم ليحاول بالجدال إقناعهم بدينه الكفري! لأن هذا من حريته في التعبير عن كفره، وليس من حق المسلم أن يكشف مثلا لعوام النصارى تحريف دينهم إلا بحضور رجال الدين النصارى! حتى يكون الحوار متكافئا.

وقد أنكرت على الكاتب وقتها قوله ولكنه لم يزدد إلا إصرارا على كلامه، وطلبت منه عقد حوار مباشر حول هذا الكلام ويكون الشيخ أبو محمد الصادق الشرعي العام للأحرار وقتها هو الحكم بيننا، ولكنه رفض، وتبين لي يومها أن المكتب السياسي للأحرار يخطو خطوات من تلقاء نفسه ويريد فرضها على الحركة رغما عن القيادة.

وكانت إثارة تلك القضايا وما شابهها خطوة في طريق تغيير مسار الثورة فكريا وعمليا،

فبعد أن كان الخطاب العام هو الخطاب الجهادي المتعلق بالدين والعقيدة والشريعة والمنهج تحول إلى خطاب الثورة والشعب والمشروع ومصلحة الأمة، ثم كانت المرحلة الثالثة وهي مرحلة الارتهان للقوى الإقليمية أو العالمية والسير في فلكها.

وقد ظهر هذا التحول عبر محطات منها: تشكيل جيش الشام، وإزاحة التيار المحافظ من قيادة أحرار الشام لصالح التيار الآخر، والمشاركة في المؤتمرات الدولية المتعلقة بالتسوية السياسية للثورة، وجعل الأراضي المحررة تحت النفوذ والوصاية التركية، وهذه الخطوات والمحطات هي نفس الخطوات والمحطات التي سار عليها لاحقا الجولاني زمن إمارته لهيئة تحرير الشام، وسيم تفصيل ذلك في مناسبته إن شاء الله.

ليالي حلب ٤٦

التدخل العسكري الروسي الميداني في سوريا

ستة أشهر بدأت في الشهر الثالث ٢٠١٥ إلى الشهر التاسع من نفس العام حرر فيها جيش الفتح إدلب وأريحا وجسر الشغور وغيرها واستعادت فصائل حلب زمام المبادرة، وأصبح انهيار العدو النصيري في الساحل وحلب مسألة متوقعة يأملها المجاهدون ويخشاها العدا في الداخل والخارج..

وفي ظل تلك الظروف ومنعا لانهيار النظام النصيري، وسعيا من الروس في الحفاظ على مكتسباتهم بعد التدخل العسكري الأمريكي المباشر في سوريا بزعم حرب الإرهاب، انتقل العدو الروسي من الدعم المباشر للنظام النصيري بالقواعد العسكرية والسلاح والذخيرة والمعلومات الاستخباراتية والتأييد الدولي إلى التدخل العسكري الروسي المباشر في الحرب بسوريا في ٣٠ من الشهر التاسع لعام ٢٠١٥.

والذي ظهر عند هذا التدخل أن هناك تناغما وتقاسما للأدوار بين الروس والأمريكان؛ فقد كانت أولوية الروس قتال فصائل المعارضة ويأتي قتال تنظيم الدولة في مرتبة ثانية وفي أماكن محددة، وكانت أولوية الأمريكان قتال تنظيم الدولة ويأتي قتال فصائل من المعارضة كتنظيم القاعدة في مرتبة ثانية وفي أماكن محددة، وسعى الروس للتمركز في المواقع الإستراتيجية سياسيا مثل غرب البلاد الذي يحوي المنافذ البحرية لسوريا وفيها قاعدة الطيران الروسية الرئيسية في حميميم والميناء العسكري الروسي في طرطوس، أما الأمريكان فسعوا للسيطرة على ثروات البلاد ممثلة في حقول النفط المتمركزة شرق البلاد، وعلى ربط التواجد الأمريكي شرق سوريا بالتواجد الأمريكي في العراق.

وقد استطاع التدخل الروسي تغيير خرائط السيطرة في سوريا وأصبح الروس يهيمنون على قرار العصابة النصيرية ويتفاوضون أصالة مع الدول الأخرى التي لها تدخلات في الملف السوري كما حدث في مؤتمرات الأستانا وسوتشي وغيرها.

*** وقد استخدم الروس في تدخلهم أساليب منها:**

- التدرج مع الكذب والمراوغة: فقد بدأ التدخل العسكري الروسي بسلاح الجو

وتوجيه ضربات جوية محدودة وتسيير طيران استطلاع، ثم تطور إلى المشاركة الجوية الميدانية، ثم المشاركة المدفعية، ثم أنزل قوات برية ميدانية، مع فتح المجال للشركات الأمنية الخاصة لجلب مرتزقة روس ليشاركوا في المعارك دون أن يكونوا محسوبين رسميا على الجيش الروسي.

ومن التدرج والكذب كذلك إغراء المهزومين من الثوار بالاستسلام عبر تسويق المصالحات وتقديم الضمانات والوعود بعدم المساس بأهل المصالحات بل ونشر شرطة شيشانية أصلها مسلم سني في بعض المناطق، ومنع المليشيات الإيرانية والجيش النصيري من الانتشار في أماكن السنة التي دخلوها، ثم ما هي إلا شهور حتى يتغير الوضع تدريجيا ويساق الجنود لجبهات الموت ويدخل الجيش النصيري وتعود التصفيات والاعتقالات..

ومن التدرج كذلك تسويق المشاركة في الحرب داخل روسيا على مراحل ففي البداية زعمت الحكومة الروسية أنها تحارب آلاف من مواطني روسيا في سوريا سيعودون لبلادهم بعد الحرب، وأنها تقاتل تنظيم الدولة، ثم مراعاة لوضع الانتخابات الروسية زعمت في الشهر الثالث من ٢٠١٦ أن التدخل الروسي حقق نتائجه وأنه بدأ سحب القوات الروسية، ثم بعد ذلك روجت للمؤتمرات السياسية المتتابعة لتوهم شعبها أن الأمر في نهايته وأن روسيا لن تدخل في مستنقع يستنزفها..

– الخوف من الاستنزاف البشري: كان التدخل الروسي الميداني في الحرب بسوريا بعد أكثر من أربع سنين من اندلاع الثورة السورية، وبعد استنزاف كبير وقع للجيش النصيري ولإيران ولحزب الله اللبناني وحلفائهم، وفي ظل تقدم وقوة الفصائل المعارضة لبشار، لذا حاول المحتل الروسي على مدى السنين الماضية ألا يزج جنوده في مقدمة الصفوف، وأن يعمل جاهدا على تحريك الآخرين وإدارتهم ليكونوا هم في خطوط المعارك الأولى، سواء كان الجيش النصيري أو المليشيات الإيرانية وحلفاءها أو جنود المصالحات الذين انضموا للفيالق التي يديرها الروس مباشرة؛ لذا فإن الخسائر البشرية الروسية إلى الآن تعد قليلة جدا مقارنة مع ما يتوقعه أي محتل ينزل بجنوده على أرض دولة أخرى، ورغم أن روسيا أعلنت قبل سنتين تقريبا أنها استخدمت في سوريا ما مجموعه ثلاثة وستون ألف عسكري بينهم

خمسة وعشرون ألف ضابط، إلا أن هذه الأرقام محل شك كبير سواء في صحتها أو في فاعليتها ويبدو أن غرضها تبرير مزيد من التوسع والهيمنة في سوريا أمام التواجد الإيراني والأمريكي في البلد.

– الاعتماد على الكثافة النيرانية: قامت معارك الاحتلال الروسي على مبدأ الكثافة النيرانية التي تحرق المنطقة المراد اقتحامها وتشل الحركة داخلها ثم يتم الزج بقطعان المشاة المنقادين لهم لتمشيط المنطقة، فإن وجدوا مقاومة عاد الروس لحرق المنطقة ثم الزج بالمشاة من الجيش النصيري وحلفائهم، لتمشيط المنطقة، فإن وجدوا مقاومة عاد الروس لحرق المنطقة.. وهكذا، مع الاعتماد على تبديل القطع العسكرية المشاركة في الهجوم بشكل مستمر للحصول على جاهزية أكبر، فإن وجدوا ثباتا انتقلوا لجبهة أخرى، ويعتمدون في الدفاع على عمل أكثر من خط دفاع؛ بحيث يكون الخط الأول هو خط إنذار قائم على وحدات قتالية ضعيفة المستوى، أما الخط الثاني والثالث ففيه الوحدات ذات المستوى الأعلى؛ بحيث يستنزف الخط الأول القوى المهاجمة ليقوم الخط الثاني بكامل جاهزيته بصد القوى المهاجمة المستنزفة، وليس عند المحتل الروسي تكتيكات عسكرية عالية المستوى سوى ما استخدمه مؤخرا بشكل ثانوي من أساليب الهجوم النوعي الليلي، ولعل من أسباب ذلك ضعف أكثر نوعية الجنود الذين يقاتلون نيابة عنه على الأرض.

– التركيز مرحليا على الانتصار السياسي في سوريا لا الاقتصادي: كلفت الحرب في سوريا الخزينة الروسية الكثير، ورغم أن الروس عززوا تواجدهم في سوريا المحتلة إلا أنهم وفي ظل ضعف الاقتصاد الروسي والسوري لم يستفيدوا إلى الآن من سوريا الاستفادة الاقتصادية التي تغطي تكاليف الحرب، ولكنهم في ذات الوقت جعلوا هذا التواجد في سوريا قوة سياسية يستفيدون بها اقتصاديا في ملفات أخرى سواء في التجارة مع تركيا أو تمديد خط الغاز الروسي لدول أوربا أو في التدخل في ليبيا، فهم يعتقدون أن حسم الحرب في سوريا سيتيح لهم فرصة تعويض ما خسروه خلال السنين الماضية ويمكِّنهم من استغلال الاقتصاد السوري لعقود طويلة.

* ولعل مما يفيد التنبيه له في مواجهة هذا الاحتلال الروسي ضرورة استنزاف العدو الروسي والتنكيل به بشكل مباشر: فرغم أن المجاهدين استطاعوا التنكيل بالجيش النصيري والمليشيات المرتبطة به إلا أن التقصير في توجيه ضربات مباشرة متكررة قوية للمحتل الروسي شجع العدو على الاستمرار؛ فهو لم يخسر بشكل مباشر طوال أربع سنين سوى عدد محدود من الجنود والطائرات والعتاد..، وتسير أرتاله في الأماكن المحتلة بكل أريحية، وينشر قواعده العسكرية في أي مكان بلا تهديد حقيقي يطالها، فضلا عن عدم تعرضه لضربات ردع داخل روسيا؛ فالمتعين على الثورة أن تعتني بتوجيه الضربات القوية المتتابعة لأئمة الكفر ورؤوس الشر من المحتلين الروس ليعلم المحتل أن ضريبة تدخله في سوريا فادحة وفوق طاقته.

وإذا كانت عشر سنوات من احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان أدت إلى انهياره؛ فإن ثلاث سنوات أو أربع من استنزاف الروس بسوريا يمكن أن تؤدي لانهيار روسيا بإذن الله، خاصة مع تورط روسيا في ملفات دولية متوترة أخرى مثل ليبيا وأوكرانيا وفنزويلا ودول أوربا الشرقية...

ومن المهم معرفته أن الروح القتالية الحالية للشعب الروسي أضعف بكثير من قبل؛ فالتغير الحضاري الذي مر به الشعب الروسي من مرحلة الاتحاد السوفيتي والشيوعية الحمراء والاشتراكية إلى مرحلة روسيا الديمقراطية الرأسمالية، مع تزايد إدمان الشعب الروسي على الخمور وسعيه لتحسين وسائل الرفاهية المجتمعية، قتل كثيرا من معاني الفتوة في نفوس الشعب الروسي وأثر على قدرته على التضحية، بل وأصبحت روسيا من الدول الجاذبة للعمالة الأجنبية الطاردة للشباب الروسي؛ حيث يفد لروسيا الملايين من الدول الفقيرة للعمل فيها ويهاجر الشباب الروسي إلى أوربا للبحث عن أعمال أرقى، وهذا أحد أسباب انكفاء الجيش الروسي عن خوض معارك مباشرة كبيرة طويلة الأمد في العقود الأخيرة.

لذا فإن العمل على التأثير في الرأي العام للشعب الروسي وإشعاره بالمخاطر التي تحيط به وبأبنائه جراء أطماع ساستهم في الشعوب المسلمة أمر مهم في الحرب القائمة.

ليالي حلب ٤٧
التغير الميداني بعد التدخل الروسي

بعد أيام قليلة من إعلان المحتل الروسي التدخل العسكري المباشر في سوريا وفي منتصف الشهر العاشر من عام ٢٠١٥ بدأ العدو النصيري وحلفاؤه الإيرانيون حملة اجتياح للمناطق المحررة بتغطية روسية مكثفة وضع العدو فيها ثقلا كبيرا؛ فمثلا قاد قاسم سليماني محاور القتال في ريف حلب.

* وقد اعتمد العدو سياسة فتح عدة محاور واسعة متباعدة عن بعضها البعض، فكان هناك محور بالساحل ومحور بريف حماة ومحور بريف حلب الجنوبي، فأحرز العدو تقدما في محور الساحل، وفشل في محور ريف حماة بل استعاد المجاهدون في ريف حماة أماكن كانت سقطت قبل زمن مثل مورك، ولعل وجود ألوية وكتائب قوية من أهل تلك المنطقة والمناطق القريبة منها كان له دور في ثبات هذه الجبهة، وتقدم العدو في محور ريف حلب الجنوبي تقدما كبيرا إلى أن اقترب من طريق حلب دمشق الدولي.

* ومما ساعد العدو في تحقيق بعض الانتصارات يومها هشاشة الرباط أو انعدامه في بعض الأماكن؛ حيث يقوم العدو بالتقدم من إحدى الثغرات ثم يستخدم الصدمة الحاصلة ليسرع التقدم ويحقق مكاسب عاجلة؛ فمثلا لم يكن الرباط في كثير من جبهات ريف حلب الجنوبي سوى رصد متباعد غير مجهز بأدنى مقاومات الصد، وقد ذكرت سابقا بعض إشكاليات الرباط في "ليالي حلب ٢٤".

* يضاف إلى ذلك إشكالية القتال في الصحراء والأماكن غير السكنية والصعوبات التي تواجه المقاتلين فيها خاصة مع انعدام الغطاء الجوي والانكشاف أمام العدو، وضعف التجهيزات الدفاعية وخطوط الإمداد وخطط التراجع..

* ومع تقدم العدو في منطقة مثل ريف حلب الجنوبي وُجدت هناك بعض أشكال العمالة التي اتصل فيها مقيمون بالمناطق المحررة بالعدو وأمدوه بالمعلومات، بل وقامت عمليات من الخلف ضد النقاط المتقدمة أدت لسقوط عدد من المناطق في يد العدو، وهي إشكالية سبقت في الظهور ما عرف فيما بعد بظاهرة الضفادع والمصالحات التي انتشرت وقت اقتحام العدو للغوطة الشرقية والقلمون وحمص ودرعا..

وتعود ظاهرة العمالة والضفدعة لأسباب منها:

١- ضعف الالتزام الديني في بعض البيئات، فمائة سنة من الاحتلال الغربي ثم الحكم البعثي فالنصيري يحتاج لجهود دعوية كبيرة وعمل متواصل لرفع مستوى الالتزام الديني في المجتمع، وهو أمر فيه تقصير شديد حتى يومنا هذا؛ فالأصل أن تتكامل رسالة المسجد مع رسالة المدرسة مع رسالة الإعلام مع رسالة المنظمات الإغاثية والمؤسسات الخدمية لتصب جميعها في تقوية الالتزام الديني، وهو ما لم يتحقق إلى الآن إلا بصورة ضعيفة، بل لا زالت مناهج التعليم في المناطق المحررة تحوي أمورا مناقضة للإسلام..

٢- الخوف على النفس والأهل عند اقتراب العدو من اجتياح منطقة، فيختار بعض ضعاف النفوس الانحياز لصف العدو والقتال معه للحفاظ على بيته وأرضه وأهله ويفضل ذلك على آلام التهجير الذي يختاره الأحرار الأعزاء، خاصة أنه عند حصول الانهيار يظهر عادة ضعف المجاهدين والثوار في المنطقة وتذهب كثير من هيبتهم، وقد قال تعالى عن بعض المنافقين: (ولو دُخِلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا) قال ابن كثير: "لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها، ثم سُئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعا، وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع".

٣- وجود صلات عشائرية أو عائلية مع قيادات من صف العدو، تغري بعض الناس وتطمعهم وتعِدْهم، مع وجود نفوس شريرة تحب العلو في الأرض وتطمح لتحقيق سلطة لم

تتحقق لهم غالبا في الثورة.

٤- ضعف الحاضنة الشعبية في بعض الأماكن، فلا يبالي بعض السكان بمن حل بالمنطقة، وأذكر مرة أن أحد وجهاء منطقة من المناطق قال: "لو جاءنا فصيل كذا أو فصيل كذا أو النظام، فسنظل نحن أبناء المنطقة!"، وهذا الضعف في الحاضنة ببعض الأماكن له أسباب من الأهالي وله أسباب من بعض الفصائل وطريقة تعاملها، يتم ذكرها لاحقا إن شاء الله.

٥- ظهور فتاوى الإضلال التي تسوغ تلك المصالحات والدخول في تشكيلات جيش العدو بزعم الحفاظ على النفس وعدم تهجير الأهالي، ترافقت مع وعود مخادعة بعدم التعرض للمقاتلين السابقين والعفو عن المعارضين، فركن لذلك من ركن ممن سلموا المناطق ثم أصبحوا لاحقا رأس حربة العدو في قتال المجاهدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

= وقد كان تأثير هذه العمالة في سير المعركة بريف حلب سنة ٢٠١٥ تحصيل حاصل، فأصحابها قلة جبناء ظهروا عند سقوط شوكة المجاهدين وانهيار مناطق؛ فتسارعت وتيرة سقوط مناطق آيلة للسقوط، خلافا لما حصل فيما بعد بالغوطة وحمص والقلمون ودرعا..؛ حيث إن الذين انقلبوا على أعقابهم ودخلوا في صفوف العدو كانوا كتائب وفصائل وتجمعات كبيرة أثرت كليا على سير المعركة.

= وقد استطاع المجاهدون يومها بعد مشقة إيقاف الحملة؛ فكانت معركة صد الأحزاب في الساحل، واستلم جيش الفتح رباط ريف حلب الجنوبي، فانتهت تلك الجولة بما خسرناه من مناطق في الساحل وريف حلب الجنوبي، ليستعد الطرفان لجولة جديدة قريبة.

ليالي حلب ٤٨
التدخل العسكري التركي الميداني في سوريا

في النصف الثاني من سنة ٢٠١٥ وفي ظل تحول التدخل العسكري الدولي في سوريا إلى أشكال أكثر وضوحا والحديث عن مناطق نفوذ للدول، وفي ظل حديث عن تواجد أمريكي روسي في سوريا، بدأت تركيا تعمل على التدخل الميداني في شمال حلب تحت شعار "المنطقة الآمنة".

ولم تتمكن تركيا من استصدار قرار أممي بإنشاء منطقة آمنة من قصف طيران النصيرية لإسكان المشردين فيها وإعادة من يريد العودة من اللاجئين إليها، خاصة وأن روسيا والصين يستخدمان الفيتو لعرقلة أي قرار من مجلس الأمن يضيق على النظام النصيري، فكانت خطوات تركيا في شمال سوريا خلال السنين الماضية مرتبطة بعلاقتها مع الروس والأمريكان والاتفاقيات التي تجري بينهم.

وجرى حديث أول الأمر عن أن تلك المنطقة الآمنة ستكون بعرض ٩٨ كيلو وعمق ٤٥ كم غرب نهر الفرات بين كوباني وعفرين مرورا بجرابلس، ثم تطور الأمر مع الأيام فكانت تزداد مناطق سيطرة الأتراك كلما ازدادت مناطق سيطرة النصيرية؛ بحيث يحتل الروس والنصيرية منطقة من الثوار ويأخذ الأتراك ومن معهم من الفصائل منطقة من الدواعش والانفصاليين الأكراد، في تزامن غريب بين حلب مع الباب وشرق السكة مع عفرين وطريق 5 m مع تل أبيض..

وغاية تركيا من هذا التدخل: الوقوف ضد مخطط إنشاء دولة كردية على حدودها، والحصول على مكاسب ميدانية وأوراق ضغط تمكنها من التعامل بها والمفاوضة والمقايضة في ملفات أخرى مع الروس والأمريكان والأوربيين..

وقد مر التدخل التركي الميداني في شمال سوريا بمراحل أهمها:

– المرحلة الأولى: التنسيق مع الفصائل ومساعدتهم بالقصف الجوي والمدفعي في قتال تنظيم الدولة.

– المرحلة الثانية: التدخل البري لقتال تنظيم الدولة.

– المرحلة الثالثة: التدخل البري لقتال تنظيم ال ب ك ك.

– المرحلة الرابعة: إقامة قواعد عسكرية والسيطرة التركية على مناطق.

*** وهذه نبذة عن تلك المراحل:**

– المرحلة الأولى: التنسيق مع الفصائل ومساعدتهم بالقصف الجوي والمدفعي في قتال تنظيم الدولة:

في سنة ٢٠١٥ عزم الجيش التركي على تنظيم قتال الفصائل شمال حلب ضد تنظيم الدولة والتنسيق الميداني معهم؛ بحيث يمهد لهم بالطيران والمدفعية وتقاتل الفصائل بريا على الأرض.

ومن أول القضايا التي أثيرت سنة ٢٠١٥ في بداية التدخل التركي وتنسيق كثير من الفصائل مع طيرانه ضد تنظيم البغدادي، هو حكم هذا التنسيق، وقد كان موقف فصائل الجيش الحر في شمال حلب هو قبول التنسيق مع الطيران التركي والمطالبة به، وكانت جبهة النصرة يومها ضد هذا التنسيق وانسحبت من رباطها على الدواعش شمال حلب لذلك، أما أحرار الشام فحصل فيها خلاف داخلي حول هذا الأمر، فقد كان موقف المكتب الشرعي وأميره الشيخ أبو محمد الصادق رفض هذا التنسيق وكذلك كان موقف أمير الحركة يومها الشيخ أبو جابر الشيخ، ولكن المكتب السياسي وعلى رأسه أبو عبد الرحمن البنشي، وكذلك بعض المشايخ الذين هم خارج الأحرار تنظيميا ولكن لهم تأثير على جزء من الأحرار كالشيخ أبي العباس الشامي كانوا مع التنسيق وعملوا على الضغط إعلاميا بقوة لإجبار الحركة على المشاركة وفرض أمر واقع على القيادة..

ولأن المكتب السياسي يضغط إعلاميا بقوة ويتكلم بلا قيود خلافا لقيادة حركة أحرار الشام التي لا تستطيع بشكل إعلامي رسمي الرد على المخالفين لما في الموضوع من حساسية وتبعات، فقد قمت وبعض الإخوة بالنشر الإعلامي بصفة شخصية والضغط في

سبيل تقوية موقف عدم التنسيق مع الطيران التركي ضد الدواعش كي لا يحقق الفريق السياسي هدفه الضاغط على القيادة إن خلا له الجو الإعلامي..

وحسمت قيادة أحرار الشام يومها الأمر بعدم التنسيق مع الطيران التركي ضد تنظيم الدولة، مما أثار غضب المخابرات التركية، وقد أرسلوا يومها لقيادة حركة أحرار الشام الإسلامية: إما أن تفصلوا أبا شعيب المصري من الحركة أو سنوقف الدعم عن الحركة، وكانت هذه الرسالة اختبارا جديدا، فتواصل معي يومها الشيخ أبو جابر هاشم الشيخ أمير الحركة واطمأن على أموري، ثم تواصل معي الشيخ أبو محمد الصادق، وقال: سننزل بيانا إعلاميا بفصلك من المكتب الشرعي للحركة لا الحركة ككل، وسأرسل لك البيان لتراه قبل النشر، ولم أكن يومها إداريا تابعا للمكتب الشرعي بل كنت تابعا لكتيبة أشداء في الحركة، فقلت له: لا مانع طالما المصلحة تقتضي ذلك، وأرسل لي الشيخ أبو محمد الصادق البيان وعدَّلت فيه بعض الشيء، ثم نشروه، وكان هذا الحل وسطا تجاوزت به الحركة الضغط دون أن تستجيب حقيقة لطلب الأتراك.

ولقد أظهر موقف قيادة أحرار الشام يومها أنهم فصيل مستقل عن الدول الإقليمية وهو ما دفع التيار السياسي في الحركة للعمل على تغيير القيادة والاستحواذ على القرار في الحركة وتسييرها في طريقهم الذي اختاروه، وهو ما حصل بعد ذلك عبر خطوات أشير لها فيما بعد إن شاء الله.

*** ولقد كان رفض هذا التنسيق مبنيا على مبررات عديدة يراها كلها أو بعضها هذا الفريق من الرافضين أو ذاك، ومن هذه المبررات:**

١- الأصل في تنظيم الدولة رغم خارجيتهم وإجرامهم أنهم مسلمون، والأصل أن تركيا دولة علمانية ينص دستورها على أن "المشاعر الدينية المقدسة لا تضمن في شؤون الدولة وسياستها كما يشترط مبدأ العلمانية..، الجمهورية التركية جمهورية ديمقراطية علمانية..، لا يجوز تعديل أحكام المادة.. ولا يجوز التقدم بمقترح لذلك"، والجيش التركي هو حامي العلمانية، ويحاول أردوغان تخفيف حدة العلمانية، وتركيا عضو في حلف الناتو والتحالف الدولي، وشاركت في أفغانستان والعراق وسوريا، وتلتزم الاتفاقيات الدولية في هذه الشؤون،

فالراية كفرية قد يكون تحتها مسلمون جهلة أو متأولون..

وقد حاول بعض المخالفين الخروج من هذه المسألة بزعم أن الدواعش كفار لأنهم خوارج وقد كفر بعض العلماء الخوارج، وزعمهم هذا مخالف لأصول أهل السنة؛ لأن المناطات التي كفر بها بعض العلماء الخوارج لا تنطبق على الدواعش، فمن تلك المناطات تكفير الخوارج الأول لصحابة معلوم فضلهم من الدين بالضرورة أو إنكارهم للأحاديث..

٢- الظهور والعلو في تحديد المعركة وزمانها وإدارتها وعلاقتها بالهجوم على الدواعش في العراق وهدفها والفصائل المشاركة وأعداد المشاركين ومحاور الهجوم هو للجيش التركي وحلفائه الدوليين لا للفصائل السورية.

٣- تركيا في ذاك الحين لم تكن جادة في قتال تنظيم الدولة، وهي كأمريكا وإيران وقتها تعمل على استخدام شماعة تنظيم الدولة لتحقيق رغباتها، والتجارب السابقة للتدخل الدولي كتجربة عين العرب تؤكد أن هذه التدخلات تهدف لاستنزاف الطرفين المتقاتلين على الأرض، وابتزاز الكتائب المتعاونة مع التحالف الدولي؛ فتزداد القضية تعقيدا.

٤- لا ضمانات على عدم فرض الأتراك لنظام أو رؤية تضاد أو تخالف الإسلام أو الثورة، كالتمكين لحكومة علمانية ونزع السلاح من المنطقة الآمنة..

٥- التنسيق مع الطيران التركي سيقوي دعاية الدواعش في تضليل المجاهدين وتكفيرهم ويثبِّت جنودهم، وسيؤدي لضعف الكتائب التي ستنسق وانشقاق الأخيار عنها.

٦- المصالح والمفاسد المترتبة على القتال المحلي ضد تنظيم الدولة تظل أفضل من تدويل المعركة، وجعلها ألعوبة بيد صناع القرار الدوليين.

٧- المعارك ضد تنظيم الدولة لا يحسمها طيران، بقدر ما يحسمها صدق وتقوى المجاهدين، ووحدة صفهم، ووضوح قضيتهم، واستقلالية قرارهم، وثبات جنودهم.

٨- العائق الأساس دون دحر هذا التنظيم في حلب هو انشغال المجاهدين والثوار بمئات الجبهات ضد جنود بشار الذين يستقوون بأسطول طيران يحرق الأخضر واليابس، وحل معظم مشاكل السوريين متعلق بإسقاط هذا الطيران المدمر.

* وقد كان الكلام عن حرمة التنسيق مع الطيران التركي في ضربه لمواقع تنظيم البغدادي، غير الكلام عن الاستفادة بتلك الضربات إن وقعت رغم رفضنا لها وعدم التنسيق أو التواطؤ معها، وغير الكلام عن استقبال الدعم المادي والعسكري وفتح الحدود لنقاتل نحن الخوارج، فهي أمور لا تدخل بضوابطها الشرعية في المنع.

وكذلك يختلف التنسيق ضد الخوارج عن التنسيق مع الطيران التركي في ضرب مواقع حزب ال ب ك ك الشيوعي بما يحقق المصلحة الشرعية التي تراعي حاجة أمتنا، وأولويات المعركة، والنظرة الكلية للصراع؛ لأن الحزب الشيوعي طائفة كافرة.

* وعملت يومها فصائل الجيش الحر على قتال تنظيم الدولة بالتنسيق مع طيران ومدفعية الجيش التركي، وكانت نتائج هذا التنسيق في الشهور الأولى ازدياد قوة تنظيم الدولة وتقدمه، وازدياد ضعف تلك الفصائل، فبعد أن ظلت الجبهة والأحرار تقاتل الخوارج في شمال حلب قرابة عامين بلا تنسيق مع طيران الأتراك ولا يستطيع الخوارج التقدم، انهارت بعد تنسيق الجيش الحر معهم جبهات الشمال، بل وأصبح الجيش الحر الذي يقاتل هناك مثار سخرية كبيرة؛ حيث يمهد له الطيران التركي والمدفعية ويهدمون القرية التي أمامه ثم يتقدم المقاتلون على الأرض ظنا منهم أنه لم يعد بها دواعش فإذا خرج لهم داعشي أو التف عليهم هربوا مسرعين، وكم تكرر يومها قيام عدة أشخاص من الدواعش بالاستيلاء على عدد من القرى بسبب الهلع الشديد الذي كان يعيشه أولئك الجنود.

- ومن الآثار المباشرة لهذا التفريط في الضبط الشرعي أن هذا التنسيق مع الجيش

التركي التابع للتحالف الدولي كان هو الضوء الأخضر الذي أفسح المجال لفصائل الفساد بالتواجد في الشمال بأريحية فبدأنا نرى فصائل تابعة مباشرة للبنتاجون الأمريكي، وظهرت فتوى لأيمن هاروش يجيز فيها التنسيق مع الطيران الأمريكي كذلك.

– وازداد الأمر سوءا فعقدت بعض فصائل تلك المنطقة اتفاقا مع جيش الثوار المعروف بتبعيته لملاحدة ال ب ك ك يسمح لهم بالقدوم من عفرين للرباط على الدواعش في مارع التي تحت سيطرة الجيش الحر.

– بل ومع تزايد سقوط قرى الريف الشمالي بيد الدواعش أعلن شخص اسمه أبو المجد إنشاء فصيل يهدف للتنسيق مع الطيران الروسي في قتال تنظيم البغدادي بحجة أن التحالف الدولي غير جاد في قتال الدواعش وأن الروس هم الجادون في ذلك! ولكن لم يكتمل له ما أراد فقد منعته فصائل تلك المنطقة من ذلك.

وقد عزا مؤخرا بعض السياسيين مثل رئيس الوزراء التركي السابق أحمد داود أوغلو الفشل الذي لحق العمل العسكري التركي في سوريا في هذه المرحلة لسيطرة التنظيم الموازي للانقلابيين على الجيش في تركيا، وهو التنظيم الذي حاول القيام بانقلاب منتصف سنة ٢٠١٦، وفشل الانقلاب، وبعد فشل الانقلاب قامت الحكومة التركية بتنحية كثير من المحسوبين على الانقلابيين من الجيش، وقد يكون ما قاله أوغلو له تأثير في تلك المرحلة، ولكن لا شك أن إخفاقات السياسة التركية بسوريا منذ سنة ٢٠١١ أكبر من ذلك وأعمق.

– المرحلة الثانية: التدخل البري لقتال تنظيم الدولة:

بدأت هذه المرحلة بعملية درع الفرات في الشهر الثامن من عام ٢٠١٦م الذي أشرك فيه الجيش التركي بعض قوات برية له في المعارك، وتزامنت هذه المرحلة مع موجة انحسار لتنظيم الدولة في شمال حلب وغيرها من الأماكن وتقدم المليشيات الكردية عليه واستيلاؤهم على منبج من جماعة البغدادي، ورفض تركيا لتمدد ال ب ك ك غرب الفرات وتخوفهم من وصل ال ب ك ك مناطق سيطرتهم شرق الفرات بمنطقة عفرين.

وجاءت هذه المرحلة كذلك بعد فشل الانقلاب العسكري في تركيا والذي اتهمت فيه الحكومة التركية جماعة فتح الله جولن المقيم في أمريكا، وقام النظام التركي على إثره بخطوات في اتجاه تقوية أمنه القومي.

وقام الأتراك بجمع فصائل الجيش الحر المعتادة بالإضافة إلى حركة أحرار الشام التي تغيرت قيادتها عن السابق على مستوى الأمير والشرعي والعسكري وجاءت وجوه أخرى غير التي كانت تقود الأحرار في المرحلة السابقة..

وأشيع وقتها أن المعارك ليست ضد تنظيم الدولة بل ضد سقوط المناطق من تنظيم الدولة بيد ال ب ك ك، وأن هناك تنسيقا في ذلك مع أطراف من تنظيم الدولة، وبدأت المعارك من جرابلس جنوبا باتجاه مدينة الباب، ولكن الظاهر أن معركة مدينة الباب خاصة لم تكن ضمن هذا التنسيق إن كان ذلك صحيحا.

وقد كان التحرك التركي شمال حلب ضد الدواعش بعد التحرك الروسي في حلب ضد المجاهدين والثوار؛ حيث أطبق العدو النصيري والروسي الحصار على مدينة حلب وعمل على احتلال أجزاء من الجزء المحاصر في المدينة، ورغم ذلك فقد سحب الأتراك لمعركتهم كثيرا من مقاتلي ريف حلب وريف إدلب وريف حماة من معركة مدينة حلب ضد الروس لمعركتهم ضد الدواعش، بل وسحبوا عددا من مقاتلي حلب المدينة بعد فك الحصار الأول عنها وخرجوا إلى منطقة شمال حلب، وكان هذا مما أثر على معركة حلب وأضعفها..

وكذلك فإن تحرك الأتراك في معركة درع الفرات اتجه جهة الباب ولم يعمل على فك الحصار عن حلب أو تخفيفه بالتوجه للمنطقة الصناعية شرق مدينة حلب لفتح جبهة جديدة تخفف عن جيش الفتح وعن مقاتلي حلب الذين يواجهون حملة احتلال حلب.

ودارت حول مدينة الباب معارك عديدة بين تنظيم الدولة والجيش التركي والفصائل العاملة معه ثم انتهت بدخول الأتراك مدينة الباب وانسحاب الدواعش منها، ولكن الملاحظ أن فائدة كبيرة من هذه المعارك صبت في صالح النظام النصيري وال ب ك ك حيث توقف الأتراك عند الباب، واستغل النصيرية وال ب ك ك ما حصل من ضعف للدواعش فاحتلوا بعد دخول الأتراك مدينة الباب مساحات شاسعة شرق حلب إلى الرقة

التي دخلها ال ب ك ك ثم اتجه جنوبا جهة دير الزور وحصل على خيرات سوريا النفطية.

- المرحلة الثالثة: التدخل البري لقتال تنظيم ال ب ك ك:

بدأت هذه المرحلة بمعركة غصن الزيتون في الشهر الأول ٢٠١٨ في عفرين ثم معركة نبع السلام في الشهر العاشر ٢٠١٩ في شرق الفرات، وكان رأس حربة المعركتين هما الجيش الحر وأحرار الشام مع وجود قوات برية تركية مساندة لهم.

وكان هدف المعركتين إنهاء سيطرة ال ب ك ك على بعض مناطق حدودية وطردهم منها، وهما معركتان ناتجتان عن اتفاقيات تركيا في الأستانا وسوتشي مع الروس والإيرانيين سنة ٢٠١٧ و٢٠١٨ واتفاق أضنة مع سوريا سنة ١٩٩٨، والتي فيها حديث عن مناطق خفض تصعيد ومناطق آمنة ونزع سلاح بعض المناطق وحرب الإرهاب وتأمين حدود تركيا من خطر المليشيات الكردية..

والظاهر من سير المعركتين أنهما كانتا نتيجة اتفاقيات بتخلي تركيا عن مناطق تحت سيطرة المجاهدين والثوار مقابل موافقة روسيا على سيطرة تركيا المرحلية على مناطق تحت سيطرة ال ب ك ك، فقد قام الأتراك بمعركة غصن الزيتون في عفرين فور نجاح الروس في السيطرة على أغلب منطقة شرق السكة وانتزاعها من المجاهدين والثوار، وكذلك قام الأتراك بمعركة نبع السلام شرق الفرات بعد نجاح الروس في السيطرة على كثير من الأماكن بريف إدلب وحماة مثل كفر نبودة وقلعة المضيق وموورك وخان شيخون وعشرات المدن والقرى الأخرى.

وقد كان انتقال مقاتلين من مناطق إدلب وريفها وترك الجبهات مع الروس والبدء بمعركة أخرى مع ال ب ك ك مثار استنكار عديدين، حيث اعتبروا ذلك تلاعبا بأولويات المعركة وخلطا في ترتيب المخاطر المتوقعة.

وقد تحولت في هذه المرحلة المناطق التي سيطرت عليها تركيا في درع الفرات وغصن الزيتون ونبع السلام بالنسبة للثورة ضد نظام بشار إلى مناطق تجميد جبهات وترسيم نفوذ، واستفرد بشار في تلك المرحلة بمناطق الثورة منطقة منطقة فدمرها وهجر أهاليها كما حصل في شرق السكة والغوطة وحمص ودرعا ثم ريف حماة الجنوبي والغربي وريف حلب

الغربي والجنوبي وريف إدلب الشمالي..، بينما جبهات درع الفرات وغصن الزيتون هادئة ساكنة لا تحاول تخفيف الضغط عن تلك المدن.

- المرحلة الرابعة: إقامة قواعد عسكرية والسيطرة التركية على مناطق:

لقد تزامن مع تطور المراحل الثلاث السابقة تغلغل الجيش التركي في المناطق التي دخل إليها والعمل على السيطرة عليها، ولم يعد ظاهر الدور التركي مجرد داعم للثورة السورية بل أصبح ظاهره أنه وصي على الثورة متحكم في كثير من شؤونها، مع تطويع المناطق لهم وإفقادها استقلالية القرار ليكون ما يظنه الجيش التركي مصلحة له فوق مصلحة الثورة السورية..، وفي هذا خطورة شديدة خاصة مع تبني الدولة التركية للحل السياسي الدولي، ودفعها في اتجاه عمل دستور مشترك يجمع بعض المعارضة مع النظام النصيري في نظام حكم علماني يحارب ما يسمونه "الإرهاب"..

وكان ما ظهر في بعض الأوقات من اخشوشان الجيش التركي ضد الجيش النصيري في بعض مواقع منطقة إدلب اخشوشان ضغط لتنفيذ اتفاقيات مع الروس، ولتقاسم نفوذ، وللتأكد من تحقيق مصالح تركية ومقايضات في ملفات كشرق الفرات، وكذلك الملف الليبي، وملف شرق المتوسط، وملف أذربيجان، وملف مضادات الطيران مع أمريكا، وملف اللاجئين مع أوربا..

*** وقد زادت السيطرة التركية في شمال سوريا بعد تدخلها البري عبر خطوات؛ منها:**

- إنشاء شرطة تابعة للأتراك.

- وإدخال الحكومة المؤقتة للائتلاف بصورة أكبر من ذي قبل وتمكين مشروع الائتلاف الوطني في المنطقة والذي نتج عنه تنحية الحكم بالشريعة الإسلامية في محاكم درع الفرات واعتماد القانون السوري الجاهلي.

- وتقوية فصائل الجيش الحر التركمانية وتمكينها من بسط السيطرة والنفوذ في مناطق عديدة.

– واستخدام كثير من مقاتلي المنطقة في معارك ليبيا وأذربيجان رغم حاجة سوريا لهم، ورغم قدرة تركيا لو أرادت على تجنيد مقاتلين من دول أخرى سواء من إفريقيا أو القوقاز أو العراق..، وكانت الصفة الدولية لكثير من هؤلاء المقاتلين هي صفة "المرتزقة" حيث لم تعترف تركيا رسميا بإرسالها لهم إلى أذربيجان.

– وكذلك جمع الأتراك فصائل درع الفرات وغصن الزيتون وجزء من مقاتلي إدلب في الجيش الوطني، ثم جمعوا الجيش الوطني في إدلب مع هيئة تحرير الشام في غرفة عمليات الفتح المبين، وبدأ العمل على أخذ جرودات وإحصائيات وزيارة مواقع ورش ومعسكرات تابعة لهيئة تحرير الشام في إدلب، ولم يبق خارجا عن سيطرتهم أو توجيههم سوى غرفة عمليات فاثبتوا وبعض الفصائل والكتائب المستقلة.

– وقام الجيش التركي بفض الاعتصام السلمي على طريق m 4 بالقوة وقتل بعض المشاركين فيه، وسير دوريات مشتركة تركية روسية على الجزء المحرر من طريق m 4، وأعلن أنه سيجعل جنوب الطريق تحت حماية القوات الروسية..

وقد كان تواجد الجيش التركي في منطقة إدلب متدرجا عبر مراحل متتابعة تستخدم ضغط العدو الميداني لفرض زيادة وجود بري؛ حيث كان الدخول الأول في ثلاث نقاط فقط مطلة على جبهات ال ب ك ك، ثم ازدادت النقاط مع معارك شرق السكة لتصبح اثنتي عشرة نقطة بدعوى إيقاف النظام النصيري عند هذا الحد، وبالفعل توقف النظام النصيري يومها مؤقتا لينتقل لجبهات الغوطة والقلمون وحمص ودرعا فيتفرغ لها واحدة بعد أخرى بعد أن أمن جانب إدلب، ثم عاد بعدها فهجم على منطقة إدلب مجددا واستغل ذلك الجيش التركي فزاد أعداد جنوده ونقاطه وعتاده في إدلب بشكل لا يتسق قط مع دوره في المنطقة أو اخشوشانه الذي حصل حينا ضد الجيش النصيري.

*** وبالمجمل:**

– فإن التدخل التركي الميداني كان متعلقا بشريط حدودي وليس بالثورة السورية ككل، ففي ظل هذا التدخل الذي بدأ سنة ٢٠١٥ سقطت كل مناطق الثورة الداخلية كمدينة

حلب والقلمون وحمص وحماة والغوطة ودرعا وأرياف من إدلب، وفي المقابل تواجد الأتراك في جزء من الشريط الحدودي فأخرجوا الدواعش من منطقة الباب وريفها وأخرجوا ال ب ك ك من عفرين ومن جزء شرق الفرات..

– والظاهر أن هذا الوجود التركي في شمال سوريا وجود مؤقت متعلق بتمكين الحل السياسي في سوريا وإبعاد الخطر الانفصالي الكردي عن تركيا.

– ولم يكن التدخل التركي مجرد التقاء مصالح بينه وبين الثوار أو تحالف لتحقيق هدف مشترك، بل كان وصاية على المنطقة بما يحقق ما تراه الحكومة التركية مصلحة لها في المقام الأول.

– وعامة الفصائل تتماشى مع الوصاية التركية على المنطقة باستثناء فصائل غرفة فاثبتوا وبعض الفصائل والمجموعات المستقلة.

– واستمرار الوضع على ما هو عليه مؤذن بمزيد نكسات، ولا بد من بذل الجهد لتجديد حقيقة الجهاد في النفوس وتغيير الواقع الميداني للمعركة ضد النصيرية، وبذلك تفشل بإذن الله مؤامرات المؤتمرات والاتفاقيات الدولية.